الخبر عن اوّل دولة من دول الاشراف العلويّين

من اولاد مولانا الشريف بن عليّ

وهو منقول من كتاب

الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب

لابي القاسم احمد الزيانيّ

طبع

بمدينة باريس في المطبعة الجمهوريّة

سنة ١٨٨٦ المسيحيّة المطابقة لسنة ١٣٠٣ الهجريّة

الخبر عن اوّل دولة من دول الاشراف العلويّين

من اولاد مولانا الشريف بن عليّ

قال ابو القاسم بن احمد الزياني
في كتابه الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب

الباب الخامس عشر في اول دولة من دول الاشراف العلويين اولاد مولانا الشريف بن علي ملوك وقتنا ابقاهم الله وامدهم بالنصر الكامل والتاييد الشامل ۞

وقد تقدم لنا الكلام في نسبهم الشريف الشهير عن التعريف في دولة بني عمهم الذين ملكوا قبلهم عند دخول جدهم مولاي الحسن لسجلماسة ومن خلف من الاولاد الى اولاد مولاي الشريف بن علي ومولاي الشريف هذا ولد عام ٩٩٧ وفيه ولد ولده الحاج وهو محمد على ما ذكره ابن الصباغ ولما اختلت عرى ملك الاشراف الزيدانيين بعد موت المنصور منهم وقع الحرب بين اولاده على الملك حسبما تقدم والثوار باقاليم المغرب وكان مولاي الشريف ممن يشار اليه باقاليم الصحراء كلها فقصده اهل سجلماسة في القيام بامرهم والذب على بلدهم حيث بلغهم قيام محمد ولد الحاج الدلاءي واستيلاؤه على تادلة وسلا وجبل درن[1] وبلغ الى نهر ملوية عام ١٠٤١ والسلطان عبد الملك بن زيدان بمراكش على لهوه وفي هذا العام ولد مولاي الرشيد وبايع اهل الصحراء مولاي الشريف وكان يدافع على

[1] B écrit toujours درن; je suppose qu'il ne s'agit point ici de toute la chaîne de montagnes nommée Deren, mais simplement de la partie de l'Atlas où l'oued Derna, un des affluents de l'oued Omm Errebia, prend sa source.

بلادهم ويقهر ظالمهم ويمهد سبلهم فخالفه اهل تبعصامت[1] ووجّهوا
رسلهم الى محمّد بن الحاجّ الدلاي صاحب جبل درن فوعدهم بالقدوم
لبلدهم ولمّا بلغ ذلك مولاي الشريف توجّه يستصرخ بعليّ ابي حسّون الثائر
بارض السوس كان بايداوسي[2] فقدم به ولمّا بلغ خبره لاهل تبعصامت وجّهوا
رسلهم يستنصرون بمحمّد الحاجّ فكتب لعليّ ابي حسّون وناشده الله ان
لا يحارب اهل تبعصامت لانّهم شيعته ولمّا نزل عليّ ابو حسّون على
تبعصامت واجتمع برسول محمّد الحاجّ وقرا كتابه لم يحاربهم وخرجوا اليه بما
يحتاج اليه ممّا لا بدّ منه من المونة والزاد واعطوه مالاً ورجع عنهم ولمّا
كان عام ١٠٤٤ حرّك محمّد الحاجّ الى نواحي الصحراء وبلغ قصر
السوق[3] فوجّه له مولاي الشريف جماعة من الاشراف ووعظوه وحذّروه
عاقبة البغي وعرّفوه بما يجب عليه من حقوق اهل البيت وتعظيمهم
فاتّعظ وشرط عليهم شروطًا يتركها لهم[4] مولاي الشريف وهي اماكن
بالصحراء ويتجافى له عنها من جملتها تبعصامت بسجلماسة وقلعية
بغريس وقصر السوق بمدغرة ووقع الصلح ورجع ولمّا كان عام ١٠٤٥ خلع
نفسه مولاي الشريف وتخلّى لاهل سجلماسة عن ولايتهم وقال لهم ولّوا من
شئتم في هذه الولاية خوفًا من معصيّة الله[5] فقام بامرهم ولده مولاي محمّد
وكان اكبر اولاده وبايعه اهل الصحراء كلّهم فلمّا بلغ ذلك محمّد الحاجّ قصده
لسجلماسة[6] وكان اكثر منه عصبيّة فتوسّط بينهما الاشراف في الصلح على

[1] Dans le *Nozhet elhâdi* on trouve l'orthographe تابوعصامت, qui est préférable.

[2] A ببرادس.

[3] Aucun des deux manuscrits ne portant le point diacritique de la dernière lettre, il se peut qu'il faille lire السوف.

[4] B لا.

[5] La rédaction de cette phrase est un peu différente dans les deux mss.; j'ai préféré la leçon du ms. A.

[6] Ce mot manque dans le ms. A.

الشرف المذكور ولمّا كان عام ١٠٤٧ توجّه مولاي محمّد الشريف في مايتميز من اتباعه ليلاً الى تبعصامت ونقبوا في ناحية من القلعة ودخلوا وفتكوا باهل القلعة وهم نايمون وقتل من قتل ونهب ما فيها وبعث بالخبر لوالده فاصبح عليهم بخيوله وعامّة من معه فيما امكن اهل تبعصامت الّا الخروج اليه وبيعته والدخول تحت حكمه ولمّا سمع ذلك عليّ ابو حسّون اغتاظ على مولاي الشريف ولمّا قدم للفايجة وجّه لاصحابه اهل تبعصامت رسله وامرهم باستعمال الحيلة في قبض مولاي الشريف او ولده محمّد فانّي آتيكم في الليلة الفلانيّة فلم تمكنهم الحيلة في مولاي محمّد فاستضافوا مولاي الشريف وبات عندهم فقبضوا عليه وعلى من اتى معه من خدّامه ولمّا بلغ خبره لولده اصبح عليهم فحاربهم الى ان قدم عليهم ابو حسّون فمكّنوه منه وتوجّه به للسوس وانزله بدار واحسن اليه واعطاه جارية تخدمه من مولودات المعافرة فهي امّ السلطان اسماعيل واقام عنده الى ان افدى نفسه بمال معتبر وقدم لولده فغضب عليه وقاطعه واعتكف على عبادة ربّه الى ان اتى اليقين وامّا مولاي محمّد الشريف فانّه ردّ وجهه لنواحي الشرق فتوجّه على عماير الصحراء الى ان دمّرها ودخلت في حكمه ولمّا بلغ انقاد اجتمعت عليه عرب المعقل من الاحلاف وسفونة وبايعوه وتوجّهوا به اوجدة كان اهلها معترفين نصفهم قايمين بدعوة الاتراك وحاربهم الى ان غلبهم ودخل وجدة وملكها وبايعه اهلها ثمّ توجّه بالعرب الى بني يزناسن كانوا في ايالة الترك فاغار عليهم ونهب مواشيهم ثمّ رجع لوجدة ثمّ اغار على اولاد زكريّ واولاد عليّ بن طلحة وبني مطهر فنهبهم وقتل وسبى الى ان دخلوا تحت حكمه ورجع لوجدة ثمّ خرج لبني سنوس وذوي يحيى فاغار عليهم وغنم وسبى ورجع ثمّ توجّه لبلاد زغبة فاغار على الغسل وبني عامر فنهبهم وشرّدهم لنواحي وهران ورجع ثمّ توجّه لنواحي تلمسان فاغار على سرحها وسرح القرى التي بازائها وجمع مواشيهم

فتبعه اهل تلمسان وعسكر الترك الذين بها فرجع اليهم ولمّا وقع الحرب هزمهم وقتل منهم عددًا كثيرًا وسلبهم ورجع لوجدة مؤيّدًا فشتّى بها ولمّا دخل فصل الربيع وصلته العرب وتوجّهوا به الى الاحرار فنهبهم وقتل وسبى وغنم وبلغه محمود شيخ جبان بهديته وطاعته وكذلك دخيلة[1] والمهاية قدموا عليه بهداياهم وبيعتهم وتوجّهوا معه الى رعايا الترك فقرّت امامه سويد وحصين والحوارث[2] والحشم وتحصّنوا بجبل راشد ونهب كلّ ما وجده في طريقه الى ان بلغ الاغواط وعين ماضي وتلك القرى كلّها واشتغل باي معسكر تخندق على نفسه وكتب لدولاتي الجزاير يخبره بما صار اليه من امر الرعايا وما لحقهم من والي سجلماسة مولاي محمّد بن الشريف من العيث والقتل والسبى فامر بخروج المحلّة من الجزاير ووجّه معها خليفته وجرّ مدافعه وتوجّه الى الباي بالعساكر وامّا مولاي محمّد بن الشريف فانّه لمّا رجع من عين ماضي لوجدة وجّه العرب لمشاتيها ووعدهم لفصل الربيع ورجع لسجلماسة ووجد البلاد خالية لا انيس بها ولا عمارة وكلّ الرعايا خرجت عن اوطانها وتحصّنوا بالجبال التي بساحل البحر ولم يقدم عليهم احد بمونة ولا خراج والحرب عليهم اهل تلمسان بسبب المحلّة وعيث الاتراك ورجعت المحلّة للجزاير فحقّق حُنَيْن فاخبروا عثمان باشا باحوال الرعية وما لحقها فامر بجمع الديوان واستعمل المشورة فاتّفق رايهم على ان يوجّهوا رسالة لمولاي محمّد مع اثنين من علماء الجزاير واثنين من قياد الاتراك وكتبوا الرسالة من املاء الكاتب المجوب الحضري ابدى فيها واعاد وهي طويلة تركناها لاجل الاختصار المشروط وهي مثبتة في تاريخ لطيف المسمّى بالبستان الظريف في دولة اولاد مولاي عليّ الشريف الذي استوفينا فيه ايامهم وفتوحاتهم وحروبهم لمن خالفهم من الامم وفيما بينهم وامّا

[1] B دخيسة.
[2] B الحارث.

هذه النبذة فانّما جعلناها تكملة لما سبقهم من الدول حتّى يكون الكتاب جامعًا وشاملًا لجميع الدول واختصرناها مثل ما سبقها ولمّا توجّه الرسل لمولاي محمّد بن الشريف لسجلماسة واجتمعوا به وقرا رسالة عثمان اربع وارعد واحضر الرسل وعاتبهم علي ما في الرسالة من التحامل[1] اجابوه بما الجمه وقطعوا اجنحته واعترف بالحقّ ورجع اليه وكتب جوابهم واعطاهم عهد الله انّه لا يبلغ بلادهم ورعيتهم ولا يقطع وادي تافنة الّا فيما يرضي الله ورسوله ووقع الحدّ علي الوادي المذكور ومنها ما وصل الي بلادهم واستمرّ الحال علي ذلك الي عام ١٠٦٠ فانحرف اهل فاس عن ولاية محمّد الحاجّ ووقع الحرب بينهم وبين عامله عليهم الذي بفاس الجديد وقطع عنهم الوادي فوجّهوا الي مولاي محمّد الشريف يستصرخون به فقدم عليهم ودخل لفاس الجديد وقبض علي ابي بكر التامليّ خليفة محمّد الحاجّ وسجنه ولمّا بلغ ذلك محمّدًا الحاجّ توجّه لمولاي محمّد في جموعه البربرية ونزل بظاهر فاس فخرج لحربه مولاي محمّد فلم يقف لضعفه علي مقاومته ورجع لفاس فلمّا راى اهل فاس ذلك نكثوا بيعته ورجع علي طريقه لسجلماسة واستمرّ الحرب بينهم وبين التامليّ ومات فيه اعيان فاس مثل عبد الكريم اللبرينيّ كبير الاندلس ومحمّد بن سليمان وغيرهما ولمّا غلبوا رجعوا لبيعة محمّد الحاجّ فولّى عليهم ولده احمد وامرهم باخراج الجنّان[2] من ضريح مولانا ادريس فتعصب لهم عليّ بن ادريس الجوطيّ فحاصره الوالي الي ان اخرجه بالامان هو ومن معه لزاوية الخبية ومنها خرجوا من فاس وفي رمضان عام ١٠٦٩ مات مولاي الشريف بن عليّ بسجلماسة ورثاه العلّامة الصالح مولاي محمّد بن المبارك بقصيدته الغرّاء الطنّانة اوّلها ما هو اعلا واجلا ۞

[1] Ce passage depuis قرا manque dans le ms. A.

[2] B الجنّات.

ٱللّٰهُ أَكْبَرُ مَا أَرْدَى بِهِ ٱلْقَدَرُ … مِنْ حَادِثٍ عَجَزَتْ عَنْ دَفْعِهِ ٱلْقُدَرُ
وَمَا أَجَلَّ مُصَابًا حَلَّ سَاحَتَنَا … عَمَّ أَذَاهُ ٱلْوَرَى فَٱلْكُلُّ مُنْبَهِرُ
مُصَابُ مَنْ جَمَعَ ٱلْإِسْلَامَ فِيهِ عَلَى … رَغْمِ ٱلْأُنُوفِ وَفَاجَا ٱلَّذِي حَذِرُوا
مِنْ مَوْتِ سَيِّدِنَا ٱلْأَسْمَى وَمَالِكِنَا … ٱلْأَحْمَى وَمَنْ بِعُلَاهُ ٱلدَّهْرُ يَفْتَخِرُ
كَهْفِ ٱلْمَسَاكِينِ مَوْلَانَا ٱلشَّرِيفِ ٱبْنِ مَوْ … لَانَا عَلِيٍّ عَلَا صِيتًا لَهُ خَبَرُ
وَٱللّٰهِ لَوْلَا ٱلْخَلِيفَةُ ٱلْهُمَامُ وَمَوْ … لَانَا ٱلْإِمَامُ لَكَانَ[1] ٱلْقَلْبُ يَنْفَطِرُ
سَلِيلَةُ ٱلشَّهْمِ مَوْلَانَا مُحَمَّدٌ مَنْ … بِوَسْمِهِ وَٱسْمِهِ نَسْمُو وَنَنْتَصِرُ
وَمَنْ هُوَ ٱلضَّوْءُ وَٱلرُّكْنُ ٱلْوَثِيقُ لَنَا … وَٱلْيُمْنُ وَٱلْأَمْنُ وَهْوَ ٱلسَّمْعُ وَٱلْبَصَرُ
مَا مَاتَ مَنْ مِثْلُكُمْ يُلْفَى لَهُ خَلَفٌ … وَٱلْفَرْعُ يَزْكُو[2] عَلَى ٱلْأَصْلِ كَمَا ذَكَرُوا

وهي طويلة ولمّا مات مولاي الشريف خرج ولده مولاي الرشيد من تافلالت الى تدغة خوفًا من اخيه مولاي محمّد ومنها الى دمنات ومنها رجع الى الزاوية الدلائية فاقام بها مدّة ثمّ توجّه لازرو فاقام به مدّة وتوجّه لفاس فاقام به مدّة وتوجّه لتازة فاقام بها مدّة وتوجّه لانقاد فاقام به مدّة عند العرب وفي تلك المدّة قام الخضر غيلان بالهبط وحرّك الى الفحص وحاربهم الى ان دخله عنوة وقتل به خلقًا كثيرًا وفرّ الباقون لفاس ولمّا مات احمد ولد الحاجّ الخليفة بفاس ولّى عليهم ولده محمّد واستمرّت ولاية محمّد الحاجّ على الغرب الى ١٠٧٠ وفيه اغار الخضر غيلان على الشراقة ونهب حللهم ومواشيهم ودخلوا فاس يتكفّفون وفي عام ١٠٧١ دخل محمّد الحاجّ الغرب في جموع البربر وعاث فيه ونهب وفرّ اهل الغرب والخضر غيلان للهبط وبلغ الى ضريح الشيخ ابي سلهام ولم يلقه[3] احد وفي عام

[1] B لَكَادَ.
[2] A يَذْكُو.
[3] B يلقاه.

١٠٧٢ مات محمّد الحاجّ بفاس وقام بها الدريديّ كان من امراء عسكرهم في جماعة من دريد اخوانهم وذلك لاختلال اصل دولة الدلاء وفي عام ١٠٧٣ نزل عبد الله ولد محمّد الحاجّ بجموع البربر على فاس القديم وحاصروها عشرة ايّام واحرق وافسد ورجع وكان رئيس اهل فاس القديم ابن صالح وفي اخر العام نزل مولاي محمّد بن الشريف على زرع الحياينة فاكله وافسده ووقعت مجاعة عظيمة اكل الناس فيها الدوابّ والجيف والادميّ وخلت الدور وعطلت المساجد وخرج اهل فاس يستغيثون باهل الدلاء وخرج مولاي محمّد بن عليّ بن طاهر مع الحياينة لحارب مولاي محمّد بن الشريف فلم يجتمع به ورجع لبلده وفي عام ١٠٧٤ بلغ محمّد الشريف لازرو ونزل به فتوجّه له اهل فاس وعلماؤهم واشرافهم فبايعوا ورجعوا وبقي هو بازرو الى فصل الشتاء ورجع ثمّ تمالى اهل فاس مع الدريديّ على مخالفة محمّد الشريف وفي هذه السنة تخرّبت طالعة فاس وهدمت وغرست من باب المحروق الى باب درب الدرّة وصار الدريديّ يبعث اصحابه بالاغارة على مكناسة واحوازها وياتون بالنهب والسبي ويلقاهم بطبوله ثمّ اوقع البربر باصحاب الدريديّ وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وفي هذه السنة اخذ الانجليز طنجة من يد البرتقيز لضعفهم عن مقاومتهم وفي عام ١٠٧٥ قام السلطان رشيد بانقاد ودعي لنفسه واجتمع عليه عرب المعقل واحلافهم من بني يزناسن[1] وبايعوه ودخلوا به وجدة فلمّا بلغ خبره لمولاي محمّد بن الشريف خرج له من سجلماسة بمن معه من العرب والبربر وقصده بانقاد فخرج الرشيد لملاقاته وكان اللقاء ببسيط انقاد ولمّا وقع الحرب كان اوّل قتيل مولاي محمّد بن الشريف وانهزم من معه وقتلوا وسلبوا ولمّا وقف الرشيد على اخيه حمله وتوجّه به ليدفنه ببني يزناسن فطرق دار ابن مشعل ببني يزناسن فقتله واخذ ماله وما عنده وتقوّى به واستعان به

[1] B يزناتن.

علي امره واعطي بعضه لمن معه من العرب وبني يزناسن ودفن اخاه بدار ابن مشعل ورجع لوجدة فاستركب واستلحق وجاءه القبايل ببيعتهم وهدايتهم ولمّا بلغ خبر بيعته لاهل فاس اجتمعوا مع الحياينة واهل الحوز وتحالفوا علي مخالفته وعدم بيعته وامروا بشراء الخيل والسلاح ووضّف رؤساؤهم علي كلّ دار محلة ومن لم توجد عنده يعاقب وعرضوا خيلهم وسلاحهم علي رؤسائهم بباب الفتوح[1] وتحالفوا علي حربه فبلغ الرشيد امرهم اعرض عنهم لكمال عقله وتوجّه من تازة لمجاسة فحاصر بها ابن اخيه محمّد بن محمّد الشريف واقام علي حصارة تسعة اشهر الي ان غلبه عليها ففرّ عنها ودخلها الرشيد ومهّد اطرافها ورتّب حاميتها ورجع لتازة ولمّا بلغ خبره لفاس تحزّب اهل فاس واحلافهم وتاهّبوا لحربه وقالوا نتوجّه له لتازة فخرجوا من فاس في شوال عام ١٠٧٦ فلمّا قابلوا محلّته بتازة انهزموا دون قتال فتبعهم الي وادي سبو ورجع فبعثوا له في الصلح فلم يكمل بينهم وبينه الي ان ملك المغرب كلّه وفي صفر عام ١٠٧٧ نزل علي فاس وحاصرها وقاتلهم ثلاثة ايّام فاصابته رصاصة في شحمة اذنه ورجع سالمًا ثمّ اعاد حصارها مرّة اخرى في ربيع فاوقع فيهم بالقتل والحرق والجراحات ورجع لانّه لم يات بقصد المقام وتوجّه للريف بقصد اعراض القايم به فحاصره وقاتله وكانت بينهما وقعات ومنازلات الي ان اخذه في رمضان وفي ذي القعدة نزل علي فاس وقاتلها الي ثالث ذي الحجّة فدخل فاسًا الجديد من السور من ناحية ملاح المسلمين وفرّ اميرها الدريدي ومن الغد نزل علي فاس القديم ففرّ رئيس اللمطيّين ابن الصغير وولده لبستيون[2] بباب الجيسة بالليل ولمّا اصبح فرّ رئيس الاندلس ابن صالح وخرج اهل فاس فبايعوا مولانا الرشيد

[1] On trouve tantôt البتح, tantôt البتوح.

[2] C'est le mot espagnol «bastion».

دولة مولانا الرشيد بن الشريف بن عليّ

ولمّا بايع اهل فاس مولانا الرشيد جدّ في طلب ابن صالح وابن الصغير وادكي العيون في طلبهما الى ان قبضوا على ابن صالح بحوز المدينة فسجنه بباب دار ابن شقرة وقتل عدّة من اصحابه ثمّ قبض على ابن الصغير وولده بالحيانية واتوا بهما فسجنهما مع ابن صالح وبعد سبعة ايّام قتلهم وولّى على قضاء فاس حمدون المزواريّ ثمّ خرج من فاس للغرب بقصد الخضر بن غيلان للقصر وتبعه ففرّ من القصر لاصلة ورجع الرشيد لفاس وفي عام ١٠٧٨ خرج لمكناسة وقصد ايت ولّال يعني بني ولّال من البربر جهة محمّد الحاجّ فاخضعهم ورجع وبعد رجوعه نزل محمّد الحاجّ بجموع البربر باب مروة قرب فاس فقاتله الرشيد ثلاثة ايّام ورجع محمّد الحاجّ ثمّ خرج الرشيد لتازة ونواحيها وعزل العقيدي[1] قائد مكناسة وخرج لحركة بني زروال ثاني النحر فاخضعهم وبعث رئيسهم الشريف لفاس وتوجّه لتطاون فقبض على رئيسها احمد النقسيس في جماعة منهم ورجع بهم لفاس فخلّدهم في سجنها ثمّ خرج لحركة بني يزناسن فحاربهم ورجع ثمّ خرج لحركة فيقوا فقبض خراجه ورجع وفي هذا العام مات كروم الحاجّ الشبّانيّ[2] الثاير بمرّاكش وتولّى ولده ابو بكر ابن الحاجّ وخرج الرشيد لحركة الزاوية الدلائية وولّى على فاس الفقيه السيد محمّدًا الفاسيّ في محرّم عام ١٠٧٩ فلقي محلّته اهل الدلاء مع ولد محمّد الحاجّ ببطن الرمّان من فزاز ووقع القتال فانهزم ولد محمّد الحاجّ وجموع البربر ورجعوا للزاوية وتبعهم السلطان الرشيد الى ان نزل على الزاوية قال الشيخ اليوسيّ في محاضرته كان الرئيس محمّد الحاجّ بن ابي بكر الدلاءي ملك المغرب سنين عديدة واتّسع هو واخوته

[1] B العقيد.
[2] B السباني.

وبنو عمّه في الدنيا فلمّا قام عليه السلطان الرشيد بن الشريف ولقي
جيوشهم ببطن الرمّان وهزمهم قدموا على محمّد الحاجّ للزاوية اذ لم يحضر
هو المعركة لكبر سنّه وعجزه عن القتال ودخل عليه اولاده واخوته واظهروا
له جزعًا شديدًا وضيقًا عظيمًا فلمّا راى منهم ذلك الجزع قال لهم ما هذا
الذي اراه منكم الى ان قال لهم حسبكم يريد الله تعالى وهذا
كلام عجيب واليه يساق الحديث والمعنى ان قال لكم الله تعالى حسبكم من
الدنيا ما مضى فكفّوا راضين مسلّمين اهـ[1] كلام اليوسيّ وكان استيلاؤه
عليها في ثامن المحرّم من العام ولمّا خرج له اهل الزاوية عفا عنهم ولم
يرق دم احد[2] ولا كشف لهم عورة لحلمه وكرمه ولمّا فرغ من امر الزاوية
وانقلهم عنها لفاس واخلاها توجّه لمرّاكش فاستولى عليها في صفر
وقتل رئيسها ابا بكر ابن كرّوم الحاجّ الشبّانيّ مع جماعة من اخوانه
وقرابته واهل حزبه واقام بها شهرًا ورجع لفاس وعزل السيد محمّد بن
احمد الفاسيّ عن ولاية فاس وعزل القاضي المزواريّ وولّى على قضائها
السيد محمّدًا المجاصيّ وعلى الخطابة بالقرويّين سيّدي محمّدًا البوعنانيّ[3] وفي
هذا العام هرب الخضر بن غيلان ركب البحر من اصلة[4] للجزاير وفي رجب
منه خرج لحركة الشاوية ورجع في رمضان وفيه امر باخراج اهل الدلاء من
فاس ثمّ سمح لبعضهم وبقي الاخرون بضريح الشيخ سيّدي عليّ ابن حرزهم[5]
الى تمام العام فردّهم جميعًا ووجّه محمّدًا الحاجّ باولاده لتلمسان فاقاموا بها الى
ان مات بها محمّد الحاجّ ودفن بضريح الشيخ سيّدي محمّد السنوسيّ وفي ذي

[1] Abréviation du mot انتهى.

[2] B دماءهم.

[3] Adjectif ethnique de ابوعنان. Les Maghrébins considèrent le mot ابو qu'ils prononcent بو comme faisant corps avec le mot suivant, et c'est pour cette raison qu'ils ne déclinent pas le mot ابو dans les noms composés.

[4] Ce nom est tantôt écrit أصلا, tantôt اصلة.

[5] Bien que les deux mss. donnent l'orthographe حرزم, je pense qu'il faut lire حرزهم.

الحجّة من العام خرج الرشيد من فاس لحركة ابن عبّاش وفيه امر بضرب السكّة الرشيديّة واشتكى له التجّار بقلّة ذات اليد[1] فاسلفهم اثنين وخمسين قنطار[2] لعام الى ان ردّوها وفيها بنيت من قنطرة وادي سبو الاقواس الاربعة الموالية لفاس وكان تاسيسها عام ثمانين والف وفيه خرج لحركة الابيض وقبض على اولاد اخيه[3] ولمّا رجع لتازة قتلهم ثمّ مرض مرضًا شديدًا اشرف منه على الموت فامر بتسريح المساجين واخراج الصدقات فعافاه اللّه وفي شوال عمل العرس لاخيه مولانا اسماعيل بدار ابن شقرة وفي ذي القعدة جدّد قنطرة الرصيف وفي عام ١٠٨١ خرج لحركة السوس وفيها اخذ تارودانت وفيه استولى على هشتوكة[4] بعد ان قتل منهم ازيد من الفين وخمساية نفس واستولى على الساحل بعد ان قتل منهم ازيد من اربعة الاف نفس ثمّ استولى على قلعة ايغلي[5] دار ملك عليّ ابي حسّون المعروف بابي دميعة بعد ان قتل منهم ازيد من الفين بسفح جبلهم وفيه قتل خليفته بفاس مولانا اسماعيل ستّين من اولاد جامع على قطع الطريق وعلّقهم بالبرج الجديد وفيه امر بضرب سكّة فلوس النحاس المستديرة وقبل كانت مربّعة وجعلها اربعًا وعشرين في الموزونة وكانت قبل ثمانيًا واربعين ورجع لفاس في رجب وفي شعبان ابتدا في بناء مدرسة الشرّاطين بدار الباشا عزّوز وفيه امر ببناء القصبة الجديدة من فاس بدار[6] لمتونة وعرسة ابن صالح اعطى الف مثقال لبناء سورها وامر اصحابه ببناء الدور فيها وفيه اعطى الشراقة الف دينار لبناء قصبة الخميس وفيه خرج لزيارة ابي يعزى ومنه لسلا ورجع لفاس وفي عام ١٠٨٢ وجّه خيلًا للجهاد

[1] B ذات يدهم.
[2] B remplace toujours le mot قنطار par الف مثقال.
[3] B اخ الابيض.
[4] B هشتوكة.
[5] B ايغلي.
[6] B بديار.

بصنهاجة ووجّه خيلاً للسوس قائدها محمّد اعراض[1] وخرج للصيد بتافراطا فبلغه قيام ابن اخيه احمد بن محمّد بمرّاكش فرجع لفاس وخرج منها في عصر يومه فلقيه بفرارة[2] مسجونًا بيد اصحابه فبعثه لتافيلالت وسار لمرّاكش وبعث قائده زيدانًا لفاس ليأتي بالجيش فأتاه اهل السوس طايعين ولم يبق للحركة محلّ بعد ان خرجت الاخبية لوادي فاس فأقام بمرّاكش الى ان صلّى بها عيد الاضحى وفي ثاني العيد جمح به فرس في بستان المسرب فاصابه عود من شجرة نارنج[3] في راسه مات منه رحمه الله فكانت مدّة ملكه سبعة اعوام الّا شهرَين وبلغ خبر موته لمكناسة لاخيه الخليفة بها في خامس عشر ذي الحجّة ختام عام ثلاثة وثمانين والف ١٠٨٣

دولة السلطان اسماعيل بن الشريف بن عليّ

ولمّا مات الرشيد بويع بمكناسة اخوه السلطان اسماعيل وكان بقصبة الموحّدين القديمة التي كانت بمكناسة واسّس بها قصره فورد عليه بيعة اهل فاس وعلمائهم واشرافهم يهنّونه بالملك وقدمت عليه وفود اهل المغرب ووجّه العساكر للنواحي وتوجّه هو لمرّاكش حيث لم يأته احد من اهلها ولا من قبايلها ولمّا بلغ مرّاكش تلقّاه اهلها وقبايلها بالحرب فحاربهم وهزمهم ودخل مرّاكش عنوة ولمّا طلبوا الامان امّنهم وعفى عنهم واقبل عليه قبايلها بهداياهم فرتّب حاميتها وانقل اخاه الرشيد في تابوته ورجع لمكناسة ووجّه التابوت يدفن بضريح الشيخ عليّ بن حرزهم وقيل بوصيته ثمّ فرّق الراتب على العساكر بقصد الحركة للصحراء فاذا باهل فاس قتلوا قايد المحلّة زيدان بن عبيد العامريّ فاستمرّ الحرب بينه وبينهم فوجّهوا

[1] B اعراص.
[2] B بتبرارة.
[3] B اترنج.

لابن اخيه احمد بن محرز يأتيهم ليبايعوه فقدم فدبّروا امرهم ووجّه لهم كتابه مع رقّاص فاعلنوا بنصره في المدينة وبالليل وجّهوا عشرة من الخيل للقايد بتازة ولمّا اصبح ورد عليهم رقّاص الخضر بن غيلان الى ان قتله ورجع لفاس الجديد فطلع اليه فقهاء فاس واشرافها يطلبون العفو فعفا عنهم وسامحهم بعد حصار اربعة عشر شهرًا وخلّى على فاس الجديد وقبايلها عبد الرحمان المنزاري وعلى فاس القديم احمد التلمساني ورجع لمكناسة فعاث الخليفة والقايد في المدينة بالقتل والسجن وقبض المال واشتغل السلطان ببناء قصوره بمكناسة حيث الفها واعجبه هواؤها وكان لا يبغي بها بدلًا وهدم ما يلي القصبة من الدور وامر اهلها بحمل انقاضها وهدم الجانب الشرقيّ من المدينة وزاده في القصبة القديمة ولم يبق امامه الّا الفضاء فجعله كلّه قصبة وبنى سور مدينة مكناسة وافردها عن القصبة وجلب الصنّاع من افاق المغرب وحواضره واطلق ايديهم على البناء فلم يبلغ بذلك غرضه فوجّه للقبايل يعطون الفعلة كلّ قبيلة تعطي عددًا معلومًا في كلّ شهر واسّس المسجد الاعظم داخل القصبة بجوار قصر النصر الذي اسّسه ايّام اخيه الرشيد ثمّ اسّس الدار الكبرى بجوار ضريح الشيخ المجذوب ثمّ بلغه اثناء ذلك دخول احمد بن محرز لمرّاكش في محرّم اربعة وثمانين والف فتوجّه بالحركة لناحية انقاد لعيث العرب في الطرقات فاخذ سفونة ونهب اموالهم وقتل منهم عددًا كثيرًا واستعدّ لحرب ابن محرز وتوجّه له في العساكر على تادلة فكان اللقاء بينهما بوادي عقبة ولمّا وقع القتال انهزم احمد بن محرز ومات قايد محلّته حينئذ الطويريّ ورجع لمراكش فتبعه السلطان اسماعيل ونزل عليه بمرّاكش عام ١٠٨٦ فظهر له غشّ عمر البطيويّ واولاده عبد الله اعراض واخوته فخنقهم بالمحلّة لانّهم كانوا امراء بعساكره وبلغه عنهم ما بلغ ووجّه لمن بقي منهم بفاس فقبضوا وقتلوا وحيزت دورهم واموالهم واملاكهم واقام على حرب احمد بن محرز

بمرّاكش الى ربيع الثاني عام ١٠٨٧ فوقع قتال عظيم مات فيه من الفريقين ما لا يحصى فانحصر احمد بن محرز بمرّاكش وبقي يقاتل من الاسوار واستمرّ الحصار على مرّاكش الى ربيع الثاني من عام ١٠٨٨ ففرّ احمد بن محرز عنها ودخلها السلطان اسماعيل عنوة فاستباحها وقتل من اعيانها سبعة وكبّل منهم ثلاثين وبلغه وهو بها اجتماع البربر على احمد بن عبد الله الدلاء وعيثهم فيمن جاورهم من قبايل العرب من تادلة فوجّه لهم عسكرًا اخر من ثلاثة آلاف فارس مع القايد تخلق فقتلوا تخلق ونهبوا عسكره ثمّ اعقبه بعسكر اخر فوقع لهم مثل الاوّل هذا والسلطان اسماعيل في مراقبة احمد بن محرز الذي بالسوس ثمّ بلغه قيام اخيه حمادي بن الشريف بالصحراء وحربه مع اخيه الحرّان الثاير بها ايضًا فرجع لحرب البربر بتادلة فلقيه الحرّان جاء يستنصره على اخيه حمّادي بن الشريف فلمّا وقع الحرب مع البربر هزمهم السلطان وقطع منهم سبعماية راس ووجّهها مع عبد الله الروسيّ[1] لفاس ومات من عسكره عدد كثير ومات من رماة اهل فاس اربعماية ولمّا بلغ الروسيّ بالرؤوس لفاس زيّنت البلاد وضرب المدافع ثمّ بعد الظفر هرب الحرّان من المحلّة للصحراء فوجّه السلطان من تبعه ورجع لمكناسة في العام المذكور وولّى على اهل فاس القايد عبد الله الروسيّ وولّى اباه حدونًا الامارة بفاس وولّى القضاء بفاس السيّد العربي بن بردلة وامر بقتل مساجين اهل تطاون الذين كانوا بسجن فاس وهم عشرون فقطعت رؤوسهم ثمّ جيء بالحرّان من الصحراء مسلسلًا مكبّلًا فلمّا قابله امر بتسريحه واعطاه خيلًا ومدشرًا بالصحراء يعيش به ووجّهه واقام السلطان يقف على بناء قصوره بنفسه وكلّما اكمل قصرًا اسّس اخر ولمّا ضاق مسجد القصبة بالناس اسّس المسجد الاخضر بالقصبة وجعل بابه للمدينة وجعل لهذه القصبة عشرين بابًا عادية وفوقها بساتين للمدافع والمهارز وجعل

[1] B الدوسق.

داخل القصبة بركة عظيمة يسير فيها الفلايك للفرجة وجعل بها هريًّا للزرع وجعل بجواره سواني للماء في غاية العمق مقبوّة وفوقها سقالة للمدافع وجعل بها اصطبلاً لخيله وبغاله طوله ثلاثة اميال مسقّف الدايرة بالبرشلة قيل كان به مربط اثني عشر الفًا من الخيل مشقّه هي مقبوّ تحت الارض يكون به الشعير لعلف الخيل وجعل في وسطه هريًّا عظيمًا في غاية الضخامة والارتفاع تكون به سروج الخيل واقامتها وبني فوقه قصرًا سمّاه المنصور فيه عشرون قبّة كلّ قبّة فيها برج مشرف على بسايط مكناسة وجبالها وغرس بجوار هذا الاصطبل بستانًا على طوله فيها من انواع الاشجار كلّ غريب وبداخل هذه القصبة نحو الخمسين قصرًا كلّ قصر بمسجده وحمّامه وميضاته ولا يفتقر لغيره وهذا شيء لم يُبْنَ في دولة عربيّة ولا عجميّة في الجاهليّة ولا في الاسلام وكان عنده بابواب قصوره على ما ذكروا الفان ومايتان من الخصيان السود وكلّ واحد ممن يخدمه من السودان وولع هذا السلطان بجمع العبيد جعلهم عسكرًا والسبب في ذلك انّه لمّا كان بمرّاكش اتاه طالب من اهل مرّاكش بدفتر فيه اسماء العبيد الذين كانوا في عسكر المنصور فساله هل بقي منهم احد فقال كثيرون بمرّاكش واحوازها وقبايلها وان كلّفني سيّدي بجمعهم جمعتهم له فكتب له امره للعمّال يقفون معه في جمع العبيد واولادهم وتوجّه لذلك ولمّا رجع من مرّاكش لمكناسة كلّف كاتبه محمّدًا[1] العيّاشيّ ان يخرج لقبايل المغرب وبني حسن والجبال لجمع العبيد وكلّف عمّاله بالقبايل ان يشتروا له العبيد فجمعوا كلّ ما وجدوا حتّى لم يبق اسود بالمغرب في حاضرة ولا بادية ولو كان حرًّا اسود او حرّة سوداء ولمّا قدم عليه عبّاش المرّاكشيّ بما جمع وقدم عليه ابن العيّاشيّ بما جمع ووجّه له العمّال ما جمعوا وما اشتروا دفع لهم الكسوة والسلاح وعيّن لهم قوّادهم واعطاهم ما يبنون به ووجّههم لمشرع الرمل

[1] B ajoute بن.

فنزلوا به على وادي فلفلة وبنوا وغرسوا واستمرّ الحال على ذلك الى ان بلغ اولادهم فامرهم ان ياتوا في كلّ سنة بمن بلغ عشر سنين من اولادهم وبناتهم فكان يدفع الاولاد لاهل البناء والنجارة وجميع الصنايع ويفرّقهم عليهم ويعلّمونهم ويدفع الباقي منهم للخدمة يسقون[1] الجير والتراب الى ان يكمل السنة ويدفعهم لسوق البغال وبعد السنة يدفع لضرب المركز والضابية وبعد السنة تدفع لهم عارية فيتعلّمون ركوب الخيل عارية دون سروج حتّى يمسكوا رؤسها سنة فتدفع لهم السروج فيركبونها بها للفرّ والكرّ ويتعلّمون الرماية على ظهورها فاذا بلغوا ستة عشر سنة يقيّد عليهم واحدًا منهم من كبار الجند ويخرج لهم من البنات اللواتي فدمن معهم وكنّ معرّفات عند عياله في قصوره يتعلّمن الطبخ والفرش والغسل ومن كانت حسناء تدفع لصنعة الموسيقا يتعلّمنها فاذا تعلّمن اخرجهنّ لرجالهنّ بعد كسوتهنّ وقبض صداقهنّ وكلّ واحدة يقبضها زوجها بيده بعد اثباتهما في الدفتر ويدفع الذي ياتي من الولدان للخدمة والبنات للقصور واستمرّ على هذا الحال طول ايّامه الى ان مات كلّ عام يتوجّه العسكر لمشرع الرمل وياتي بالاولاد الى ان كان في الدفتر العسكريّ من العبيد مائة وخمسون الفًا سبعون الفًا بمشرع الرمل وخمسة وعشرون الفًا بوجه عوض بمكناسة وباقي العدد مفرّق على القلع التي بناها بالمغرب من وجدة الى وادى نون[2] كلّها ظاهرة يعرفها الخاصّ والعامّ واكثرها فايم الى وقتنا هذا وهذا العدد وقفت عليه في تاريخ[3] الحميديّ وفي دفتر سليمان الزرهونيّ كاتب مولانا اسماعيل رحمه الله تعالى وتواتر الخبر به وامّا عدد القلع التي بناها بالمغرب فهي ستّة وسبعون قلعة شاهدنا اكثرها ولمّا كان عام ١٠٨٩ توجّه من

[1] B يسوقون الحمير بالجير والتراب.

[2] Les mss. donnent souvent l'orthographe نول, qui est probablement préférable.

[3] B كنّاش.

مكناسة لمراكش ثمّ خرج منها للسوس فقصده وبلغ غزوه الى طاطا وآقا وتسنت وهو الملح بالكجيّة وشنقيط وقدم عليه وفود العرب اهل القبلة من عرب المعقل ومعافرة واولاد دليم وشبانات وبرابش وجرار[1] ومطاع وودى وادّوا طاعتهم وفي ذلك العام جاءته الحرّة خناثة بنت الشيخ بكّار انكحه اياها والدها وجلب في تلك الحركة من الاقاليم المذكورة القين من الحراطين باولادهم كساهم وسلّحهم ووجّههم لمشرع الرمل ورجع لمكناسة لتمام السنة وفي عام ١٠٩٠ توجهّ لحركة الشرق على طريق الصحراء ولمّا بلغ وجدة قدم عليه بنو عامر وسفونة وذوي منبع ودخيسة وحيان والعمور واولاد جرير والاحرار والحشم وقادوه على طريق الصحراء وترك تلمسان على يساره واصحر الى ان نزل على وادي شلف بالقويعة فوجد الاتراك بمحلّتهم على وادي شلف بغطّهم وفطيطهم ومدافعهم ومهارزهم ولمّا جنّ الليل اطلقوا الاتراك مدافعهم ومهارزهم وضربوا طبولهم وشعلوا مشاعلهم فلمّا سمع العرب ذلك دهشوا وهربوا ليلًا ولم يصبح مع السلطان الّا عسكره فانهزموا دون قتال ووجّه له الاتراك رسلهم اتوه بكتاب مولاي محمّد بن الشريف الذي عاهدهم على حدود بلادهم وبكتاب مولاي رشيد الذي عمل معهم الحدّ على وادي تافنة وطلبوا منه ان يتخلّى على بلادهم ويقف عند حدوده فاجابهم لذلك وانعقد عليه الصلح بينهم ورجع ومن يومئذ لم يامن في العرب ولم يثق بهم ورجع الى المغرب وفي هذا العام بلغه قيام اخوته الثلاثة وهم الحرّان وهاشم واحمد وثلاثة من بني عمّهم ودخلوا لقبايل البربر بالصحراء فتوجّه لهم بالعساكر على سجلماسة وطلع اليهم بجبل ساغرو وحاربهم حربًا عظيمًا مات فيه قايد عساكره موسى بن يوسف ومن اهل فاس اربعماية وهزمهم فهربوا للقفار ورجع السلطان على طريق الفايجة فاصابه الثلج بثنية القلاوي اهلك الناس واتلف اثقالهم وابنيتهم

[1] B جدار.

وما خلصوا منه الّا بمشقّة عظيمة ولمّا نزلوا بسيّدي رحّال مدّوا ايديهم في اموال الناس لما لحقهم من الجوع وشكي الناس بذلك الي السلطان فامر بقتل من وجدوه خارج المحلّة وامر بجرّ الوزير عبد الرحمان المنزاريّ وقتل اصحابه بالرصاص في المحلّة وامر بتوجيه الوزير بجرّ بمكناسة وفاس ففعل به ذلك وامر برمي بافيه ومات في تلك الوقعة من المحلّة نحو الثلاثماية ورجع لمكناسة فاقام بها وفي محرّم عام ١٠٩٠ وقع الوباء بالمغرب فكان العبيد يتعرّضون في الطرق ويردّون الناس عن مكناسة ويقتلون بسايس كلّ من ياتي لمكناسة من فاس وانقطعت السبل وفيه انقل الشبانات وزرارة قوم كرّوم الحاجّ من حوز مرّاكش لما كانوا عليه من الظلم والجور بقبايل الحوز فانزلهم بوجدة ثغر المغرب وكتبهم في الديوان وقدّم عليهم العيّاشيّ بن الزوغر[1] الزراريّ وامره بالتضييق علي بني يزناسن اذ كانوا شيعة للترك وفي ايالتهم فكانوا يغيرون عليهم ويمنعونهم من الحرث والمرعي ببسايط انقاد وبني عليهم قلعة برقادة[2] وقلعة بالعيون وقلعة بسلوان وعمّرها اصحاب الزغريّ[3] واجتمعوا بجبالهم وفي عام ١٠٩١ خرج في العساكر لبني يزناسن حين تمادوا علي العصيان فدخل جبالهم ونسف نعمتهم ونهب اموالهم وقتل مقاتلتهم واحرق ديارهم وطلبوا الامان فامّن بقيّتهم علي دفع الخيل والسلاح فاتوا بما عندهم من الخيل والسلاح ثمّ نزل بانقاد فامر سفونة بدفع الخيل والسلاح الي ان استصفاها وكذلك فعل بالمهاية والاحلاف ورجع وامر في طريقه ببناء القلع في كلّ مرحلة قلعة وعمّرها بعبيده باولادهم وكلّف القبايل بدفع اعشار الزرع في كلّ قلعة تجاورهم لعولتهم وعلف الخيل الي ان بلغ مكناسة وجعل نظر القلع التي

[1] B الزوغ.
[2] B ajoute باتريبة.
[3] B ابن الزوغ.

على الطريق لمنصور بن الرامي انزله بنازة في القبّن وخمساية من العبيد باولادهم وفي كلّ قلعة ماية فارس ومن ضاع شيء في ترابه يودّيه قايد القلعة وانزل بقلعة الخميس خمساية من الخيل من الشراقة تحرسون طريق سايس الى المهدومة وفي عام ١٠٩٢ ورد عليه الخبر انّ احمد بن محرز الذي ببلد السوس استولى على بلاد بني زينب وقويت شوكته فامر بتفريق الراتب وتقويم الحركة من فاس ثمّ بلغه اشراف العساكر التي على مدينة المهدية على الفتح ومتوقّفون على حضوره فتوجّه حتّى حضر الفتح وخرج رئيس النصارى فامّن عليه واخرج اصحابه وكانوا ثلاثماية وثمانية والغنيمة احرزها اهل الريف واهل الفحص الذين كانوا مرابطين عليها مع القايد عمرو[1] بن حدّ البطيوي ورجع السلطان لمكناسة ولمّا مات عمرو بن حدّ بالوباء في طريقه ولّى السلطان على المجاهدين اخاه القايد احمد بن حدّ وفي عام ١٠٩٣ توجّه السلطان لحركة الشرق فاخذ بني عامر ونهب اموالهم ورجع لمكناسة وامر باخراج اليهود من المدينة وبنى لهم خارجها مدينة ثمّ باثر هذا بلغه انّ الترك جاءوا بمحلّتهم واستولوا على بني يزناسن وعلى دار ابن مشعل وانّ كلامهم مع ابن اخيه احمد بن محرز راسلهم وراسلوه وبلغه ذلك ايضًا من خليفته بمرّاكش فكتب له ان يبقى في مقابلته الى ان يرجع من حركة تلمسان وخرج بالعساكر الى لقاء الترك فوجدهم رجعوا حين بلغهم خروج النصارى بشرشال وذلك في عام ١٠٩٤ واغاثهم اهل الجزاير فقتلوا من النصارى مقتلة عظيمة واخرجوهم ومات من المسلمين نحو السبعماية ورجع السلطان قاصدًا مرّاكش ومنها للسوس فتلاقى مع ابن اخيه احمد بن محرز ووقع القتال خمسة وعشرين يومًا مات فيها من الفريقين ما لا تحصى ودخل احمد بن محرز تارودانت فانحصر بها ثمّ وقع بينهم حرب اخر مات فيه خلق كثير وخرج السلطان واحمد بن

[1] B عمر.

فحيز واستمرّ الحال على ذلك الى رمضان العام فوقع الصلح بينهما ورجع السلطان بمكناسة فدخلها في قعدة العام وفي حجّة العام خرج لجبل فزاز في العساكر فلمّا بلغهم خروجه انهزموا من الجبل وخرجوا لملوية فبنى قلعة بعين اللوح واخرى بازرو وترك الخدمة بها وتبع اثارهم الى ان تحصّنوا بجبل العيّاشيّ فتربّص بملوية الى ان دخل فصل الشتاء وفصده بذلك تمام اسوار القلعتين ولمّا رجع انزل بقلعة ازرو الف فارس وبقلعة عين اللوح خمساية فارس فاستراح من عيثهم بطريق سايس ولمّا قلّت عليهم الاقوات قدموا وفودهم على السلطان بمكناسة تايبين فامّنهم على دفع الخيل والسلاح والاشتغال بالحرث والنتاج فدفعوها عن يد وهم بنو يدراسن[1] ودفع لهم ستّين الفًا من الغنم يسرحونها ويدفعون صوفها وسمنها في كلّ سنة وحرّرهم من الوظايف كلّها فكان وظيفتهم حراسة غنمه وصلحت احوالهم بعد ذلك وفي عام ١٠٩٥ ورد عليه الخبر بفتح طنجة استولى عليها المجاهدون ولمّا طال للكفّار الحصار ركبوا سفنهم واخرجوا فيها المينات فتهدّمت وتركوها فدخلها اهل الريف وبنى فيها اميرهم دارًا وبنى المساجد والمدرسة ورمّ ما تهدّم من سورها وسكنها المسلمون وباثر ذلك حرث مركب من جنس الاصبنيول كان متوجّهًا بالمدد لسبتة قريبًا منها فحاربه المجاهدون اهله الى ان غلبوهم واخذوا ما فيه من البضايع واخرجوا منه المدافع في اربعين يومًا وفي عام ١٠٩٦ خرج السلطان لحركة ملوية فنزل صفرو وفرّق قبايل البربر لشواهق الجبال بيوسيّ وشغروشندي وسليم وايّوب وعلّاهم وقادم وحيون ومكود فامر ببناء القلع في اعليل وقيقوا وسكورة وتشوكت ودار الطمع وتمايوست وقصر بني مطير وملوية وقبايل البربر كلّها متفرّقة ومتحصّنة في شعاب العيّاشيّ وهو مقابل لهم على وادي ملوية والخدمة في القلع كلّها سنة كاملة الى ان اكملوا بناء اسوارها

[1] B ادراسن.

وعمّرها بالعبيد اربعماية في كلّ قلعة ولمّا ضاق الامر بالبربر وعدموا الاقوات قدمت عليهم وفودهم تايبين مذعنين لامره فامّنهم على دفع الخيل والسلاح فدفعوها عن يد وصفا لها هذا الربع الشرقيّ من جبل درن ورجع لمكناسة فبلغه خبر دخول اخيه الحرّان تارودانت مع ابن اخيه احمد بن محرز فتوجّه لهما ولمّا بلغ تارودانت حاصرهما بها فخرج احمد بن محرز يومًا لزيارة بعض الاولياء مع بعض عبيده فلقيه جماعة من عسكر زرارة لم يعرفوه ظنّوا انّه احد قوّاده فحاربوه وقتلوه فاذا به احمد بن محرز ولمّا بلغ خبره للسلطان توجّه حتّى وقف عليه وامر بتجهيزه ودفنه مع الغرناطيّ مات في ذلك اليوم وبعد ايّام خرج اصحابه من روادنة ليلًا واخرجوه من القبر ونزعوه من التابوت حتّى عرفوه لشبه عليهم مع قبر الغرناطيّ واخذوه وتركوا الغرناطيّ على شفير قبره وبقي الحرّان محصورًا بتارودانت والحرب قايمة بها كلّ يوم مات فيها القايد الزيتونيّ والباشا حمدون ونحو الستّماية ثمّ كان بعده حرب اخر كذلك ثمّ ثالث كذلك مات فيه القايد عبد الرحمان الروسيّ ورجع في موضعه ولد الغرناطيّ واقام محاصرًا لروادنة الى جمادى الاولى من عام ثمانية وتسعين والف فدخلها عنوة بالسيف وقتل من فيها ولمّا بلغ خبر فتحها قدم على السلطان ولده محمّد العالم مع علماء فاس واشرافها واعيانها يهنّونه بالفتح وقدم عليه وفود اهل المغرب للتهنية وامر بخروج اهل الريف الذين بفاس ياتون لسكنى تارودانت حيث لم يبق بها احد وخرج اولاد النقسيس من سبتة فقدموا عليه للمحلّة فامر برّغهم لتطاون وقتلهم بها وقتل من بسجن فاس منهم وفي عام ١٠٩٩ رجع من السوس ودخل مكناسة فاستراح بها وتهيّا لحركة فزار وخرج من مكناسة وطلع للجبل من الناحية الغربية فاوّل من قدم عليه بنو حكم وزمّور مع كبيرهم بايشيّ القبليّ فادّوا طاعتهم وولّى عليهم كبيرهم المذكور وتوجّه حتّى نزل ببسيط دخيسان لتلا شيهاكان فبرّت برابرايت مالوا

يعني اولاد مالوا لشواهق الجبال وامر السلطان بتجديد قصبة دخيسان كان بناها يوسف بن تاشفين وامر ببناء قصبة منت[1] وقصبة تادلة وقصبة ابن الكوش تحت جبل ابن يسري يعني اولاد يسري واقام محاصرًا للبربر بدخيسان والحرب مرّة بعد مرّة الى تمام السنة والخدمة بالقلع مستمرّة على الدوام الى ان اكمل بناء اسوارها وانزل بها حاميتها من عبيده جعل بقصبة دخيسان خمسة عشر ماية فارس وانزل بزاوية محمّد الحاجّ كذلك وبقصبة تادلة الف فارس وبقصبة ابن الكوش خمساية فارس وقدم عليه لدخيسان بايشيّ بالاموال والخيل والسلاح فانكر عليه ذلك وقال له ما حملك على هذا ولم آمرك به فقال يا مولانا انّما فعلت صلاحك وصلاحهم وان سرت معهم بغير هذا انعبوك انّما طهرّتهم[2] من الحرام ويشتغلون بالحرث والنتاج فانّ الحلال ينمو ويذكو فاستحسن كلامه ودفع الخيل والسلاح والمال لعساكره ورجع لمكناسة وفي عام ١١٠٠ امر العبيد اهل مشرع الرمل ان ياتوه بمن بلغ عشرًا من اولادهم وبناتهم حسبما تقدّم ذكره فمنهم كان تجتمع العسكر من عام الف وماية الى ان مات عام تسعة وثلاثين وماية والف كلّ عام يدفعون له ويوجّه هذا الجند وفي هذا العام توجّه القايد احمد بن حدّ الريفيّ بالمجاهدين الى الرباط بالعرايش وحاصرها وحفروا مينة للمدينة تحت سور من ناحية المرسى وملئوها بارودًا واخرجوها فسقط جانبها ودخل منه الرجال للمدينة فملكوها وتحصّن الكفّار بحصن القبيبات الذي بناه السلطان احمد المنصور السعديّ فحاصرهم به المجاهدون سنة كاملة الى ان عجزوا وطلبوا الامان فامّنهم على حكم السلطان ونزلوا منه فتمّ فتحها ولله الحمد وذلك في محرّم ١١٠١ وفيه حجّ الشيخ الحسن اليوسيّ مع المعتصم ابن السلطان فامر السلطان ببعث نصارى العرايش لحضرته

[1] B حنت.
[2] B طردتهم.

فبعثوه له وكانوا الفا وثمانماية فكان يخدمهم في بناء قصوره ويبنون
بالدهليز وعمّر العرايش باهل الريف وبنى بها احمد ابن حدّو دارة ومسجدين
ومدرسة وحمّاما وفرنا ثمّ انتقلوا لحصار اصيلة فحاصروها سنة الى ان لحقهم
الجهد فطلبوا الامان فامّنوه على حكم السلطان فخافوا ان يقع لهم مثل
نصارى العرايش فركبوا سفنهم ليلاً وتركوها فدخلها المسلمون عام ١١٠٣
وبنى بها احمد بن حدّو مسجدًا ومدرسة وحمّاما وعمّرها اهل الريف ثمّ انتقلوا
لحصار سبتة فنزلوا عليها ووجّه لهم السلطان عسكرًا من عبيده وامر
كلّ قبيلة من قبايل الجبال توجّه حصّتها حتّى من اهل فاس كانوا
يوجّهون خمسماية رام في النوبة على راس ستة اشهر يتبدّلون بغيرهم
فكان عدد المرابطين عليها خمسة وعشرين الفا ولا ينقطع عنها القتال
حتّى اتّهم قياد المرابطين عليها بالغشّ وانّهم لم ينصحوا في فتحها
خوفا ان يتوجّهوا لغيرها وفي هذا العام مات القايد علي بن عبد الله امير
اهل الريف كلّهم فولّى السلطان اسماعيل عليهم ولده الباشا احمد بن علي
ولمّا تمهّد ملك المغرب والسوس والصحراء للسلطان اسماعيل وبنى جميع
قلعه بالمنازل كلّها وشحنها بعبيده ولم يبق له غير قبيلة فزاز التي بها ايت
مالوا وايت افلمان[1] وايت يسري يعني بني وبني فتجهّز للحركة ووجّه المدافع
والمهارز امامه لملوية على طريق اعليل وكلّف بجرّها نصارى العرايش
والمهديّة واسرى البحر ورتّب امور دولته فخلّف بفاس كبير اولاده ابا العلاء
محرز ووجّه لمرّاكش ابا اليمن المامون وترك بمكناسة[2] محمدًا المدعو زيدان
وكان افرس اولاده ثمّ بدا له في حركة فزاز ووجّه العدّة لاهل فاس وامرهم
بالحركة للترك مع ولده زيدان فخرجوا في رمضان وبعد العيد خرج
السلطان في اثرهم وترك من توجّه امامه لفزاز ولمّا بلغ وجدة اوقع الصلح

[1] B يعب المان.
[2] B بمرّاكش.

مع الترك ورجع وامر بالحركة للبربر فتوجّه لهم عام ١١٠٤ بجميع العساكر وجّه بعضها على تادلة وبعضها على ملوية وبعضها من ورائهم من ناحية توغي ولمّا وجّه المدافع والمهارز وهو في السواد الاعظم نزل دخيسان وعيّن للعسكر كلّه اليوم الذي يزحفون لهم من كل جهة وهو اليوم الذي بعد الليلة التي يسمعون فيها المدافع والمهارز طول الليلة فهي ليلة الزحف على البربر ولمّا امسى المساء اشتغل الطبجيّة بضرب المدافع والمهارز طول الليل ففزع البربر ودهشوا لسماع ذلك وكلّ قصد ناحية ولمّا اصبح قصدهم العساكر من كلّ ناحية ووقع القتال فانهزموا وقتلوا ونهبت اموالهم وسبيت نساؤهم واولادهم والتقطوهم من الشعاب وجمعوا من رؤوس قتلاهم اثني عشر الفًا وازيد وقدموا بها على السلطان فامرهم بجمع ما خذوا من الخيل والعدّة فجمعوها فكان عدد الخيل المذكورة عشرة آلاف ومن المكاحل ثلاثون الفًا وازيد فوجّه الرؤوس لعليّ بن يشّ وامره بعدّهم فلمّا احصى عددهم قال له ان لم تاتني بعددهم من رؤوس قهوان لا ارى وجهك فانّهم كانوا يعيثون في طريق الصحراء ما بين ملوية والخنق فتوجّه لهم وحاربهم الى ان غلبهم ونهب اموالهم وقتل مقاتلهم وتشتّتوا في القرى فنادى عليهم في تلك الاودية من آوى قهوانيًّا قتل به ومن اتى براس قهوانيّ فله عشرة مثاقيل فامتدّت ايدي القبايل واتوه برؤوسهم الى ان استكفى من العدد فاعطى لكلّ راس مثقالاً واتى بهم لمكناسة للسلطان اسماعيل فنصبهم على اسوار المدينة مع من قبلهم وامر السلطان عليّ بن بركة ان يبني دارة بتشغالين وينزل معه اخوانه ايت عمّور يعني بني عمّور والمراد بايت هم بنو بالشلحة وهي لغة البربر بين ايت مالوا وايت افالمان واعطاه الفًا من الخيل بسلاحها لاخوانه ولم يبق الخيل عند احد من قبايل المغرب غيرهم وغير اهل الريف والعبيد والوداية واستراح السلطان من عيث البربر بالاستيلاء على ايت مالوا وايت افالمان

وولّى على قبايل البربر كلّهم عليّ بن يشّ وجعله عامل العمّال وهذه اخر حركات مولانا اسماعيل فانّه اقام في تمهيد المغرب وحروب الثوّار والخوارج على الدولة اربعًا وعشرين سنة لم يُقِمْ بها في دار سنة واحدة وفي تاسع ربيع النبويّ عام ١١٠٦ وجّه ولده زيدانًا لمحاربة الترك وخرج من فاس بعد ان قتل خليفته بفاس احمد السلفيّ فحاربهم ونهب ورجع وفي سنة ١١٠٧ ورد على السلطان اسماعيل كتاب من عند السلطان سليم[1] بن ابراهيم العثمانيّ مع خدّامه يامره بالصلح مع اهل الجزاير فاجابه لما طلب ثمّ ورد لفاس كتاب للقاضي والعلماء يعاتبهم على عدم موافقتهم على جواز تمليك العبيد الذين في الديوان وذلك في القعدة عام ١١٠٨ وفي عام ١١٠٩ ورد كتاب من عنده على تمليك حراطين فاس فقرئ على المنبر وفي عام ١١١١ فرّق السلطان اسماعيل اعمال المغرب على اولاده الكبار فولّى ولي عهده احمد الذهبيّ تادلة واعمالها وانزله قصبتها وانزل معه ثلاثة آلاف من العبيد وامر بالزيادة في قصبتها فبنى قصبة بجنبها اكبر منه وبنى دارًا فيها ومسجدًا اكبر من مسجد والده واستقرّ بها وولّى على اقليم السوس ولده محمّد العالم وانزله ردانة واكمل له على من فيها من العبيد ثلاثة آلاف فارس من وصفانه وولّى على سجلماسة واقليمها ولده المامون الكبير انقله لها من مرّاكش وانزله بالقصبة التي بنى له بتزمين[2] وانزل معه خمساية فارس من وصفانه وبعد عامين مات فولّى مكانه ولده يوسف وولّى على الشرق ولده زيدانًا انقله من مكناسة فكان يغير على رعايا الترك الى ان شرّدهم عن تلمسان وبلغ مرّة الى امّ العساكر[3] في مغيب الباي عنها في الغزو فدخلها ونهب دار الباي واخذ ما وجد فيها من فراش ولباس ونحاس وافسد ورجع فلمّا بلغ ذلك السلطان اغتاظ عليه وعزله

[1] B سليمان.
[2] B فيها.
[3] L'orthographe معسكر est préférable.

للصلح الذي كان بينه وبين الترك وولّى على الشرق اخاه حبيبًا ولمّا كان عام ١١١٢ جاء الخبر للسلطان بخروج محلّة الترك من الجزاير مع الباي الذي نصبت دارك فخرج السلطان في العساكر الى لقاء الترك وحاربهم ورجع فمات في طريقه من العساكر عدد كثير بالعطش اربعون من اهل فاس دون غيرهم وفي هذا العام قتل عبد الخالق[1] الروسيّ واحدًا من عبيد الدار دخل عليه بغير اذنه فلمّا بلغ ذلك السلطان وجّه ولده حبيبًا ياتي به من فاس مقيّدًا فاستشفع له بالفقهاء والشرفاء فلم يعده ذلك وتوجّه به مسرّحًا[2] ولمّا بلغه عفا عنه وردّه لفاس وفي عام ١١١٣ وجّه له السلطان فلمّا بلغه قتله ووجّه ولده زيدانًا لفاس ومعه جدون الروسيّ حاكمًا بها وفي عام ١١١٤ بلغ مولاي عبد الملك ابن السلطان لضريح مولانا ادريس بزرهون فاستحرم به حاربه اخوه ابو النصر وغلبه على درعة وعلى تلك البلاد كلّها فتركه السلطان وولّى على درعة ولده الشريف صاحب المعاركة وامره بحرب ابي النصر وطرده من تلك النواحي وفي هذا العام قام محمد العالم على والده وقصد مرّاكش فحاصرها في رمضان العام وفي عشرين من شوال دخلها عنوة وقتل عاملها واعيانها وهدم دورهم ورجع لرودانة ولمّا بلغ ذلك السلطان وجّه له ولده زيدانًا بالعساكر ولمّا بلغها وجد اخاه محمد العالم رجع لرودانة فدخلها واساء السيرة في اهلها بالنهب والفساد وتوجّه لتارودانت فنزل عليها واستمرّ الحرب بينهما على الدوام مدّة من ثلاثة اعوام ففنى فيها عالم كثير وفي عام ١١١٥ اتى مولاي حبيب لفاس الجديد وجعل على اهل فاس مغرمًا عظيمًا وجاء الزعيم حاكمًا بها ثمّ عزل ورجع جدون الروسيّ فقتل اناسًا وعلّقهم وفي متمّ شوال منه مات مولاي حبيب بفاس الجديد وفي عام ١١١٨ جاء امر السلطان لفاس ان

[1] A عبد الرحمان.
[2] Peut-être faut-il lire مسرعًا.

تعطي كلّ عتبة سرجًا[1] ولا يتحرّر منه احد وفي احدى وعشرين صفر العام ورد الخبر باخذ تارودانت ودخولها عنوة وقبض مولاي محمّد وموت من مات فيها من القوّاد والعساكر ولمّا دخلوها قتلوا جميع من بها رجالاً ونساء وصبيانًا وفي رابع ربيع الاوّل وصل محمّد العالم مكبّلاً لفاس فوجّه السلطان من قطع يده ورجله من خلاف وبعد خمسة عشر يومًا مات بمكناسة فدفن بضريح المجذوب وقتل زيدانًا بتارودانت الكاتب الوزير وفي رجب عام ١١١٩ بلغ الخبر بموت زيدان بتارودانت فجعلوه في تابوت واتوا به لمكناسة فدفنوه بجنب اخيه ليلاً وفي عام ١١٢٠ كلّف عبد الله الروسيّ الفقهاء بفاس ان ينزلوا على دفتر العبيد المملوكين فمن كتب نجا ومن امتنع قبض عليه وقبض على اولاد جسوس واخذ اموالهم واجلس فقيههم في السوق مقيّدًا يتكفّف ثمّ عفا عنه السلطان وسرّحه ووجّهه لفاس يرعى الحراطين المملوكين لمكناسة فازعجهم وفي عام ١١٢١ عزل ابو علي الروسيّ وولّى حمدون الروسيّ ثمّ رجع ابو عليّ وناخّر حمدون وفيه جاء عبد الله الروسيّ لبيع اصل المجاورين بالمشرف من اهل فاس فباعه وفي عام ١١٢٣ قام ابو المنصور ابن السلطان بالسوس وفي عام ١١٢٤ سرّح السلطان الكاتب الخيّاط ابن منصور من السجن وولّاه على الدرعة وفي عام ١١٢٥ قتل السلطان الخيّاط بن منصور واخاه عبد الرحمان وفيه بلغ للسلطان انّ اولاد دليم بالسوس قتلوا ابا النصر وفي عام ١١٢٦ قتل السلطان بمشرع الرمل القايد ابا دشيش وثلاثة من القياد وسبعة عشر من العبيد وفي عام ١١٢٧ في اوّل يوم من المحرّم مات مولاي التهاميّ بن محمّد صاحب وادي الزان وفي جمادى منه ماتت الحرّة عايشة مباركة امّ الشرفا وفي عام ١١٣٠ ورد كتاب السلطان لفاس فيه تخيير اهل فاس من الكلايف ثمّ ورد كتاب اخر بوبّخ اهل فاس وتحيّرهم بين ان يكونوا نايبة او جيشًا فقال لهم ولد

[1] B عظم سرج.

الصحراوي انّما يكون الكلام امام السلطان فقتل واصبح معلّقًا فبلغ ذلك السلطان فقبض ابا عليّ واصحابه وسجنهم بمكناسة وولّى جدونًا ثمّ قتل جدونًا عبد الخالق بن يوسف فقبضه السلطان هو واخاه مسعودًا وولّى على فاس حمّ فصارة ثمّ بعد ايّام وجّه ابا علي حاكمًا وبلغ خبر موت ابي مروان بالمشرق في العام وفيه عزل السلطان اولاده عن الاعمال كلّها ولم يبق الّا ولّي العهد منهم بتادلة وهو احمد الذهبيّ ووجّه ولده عبد الملك لمرّاكش وولّاه امر السوس واعتكف السلطان على بناء قصوره وغرس البساتين والبلاد في امن وعافية تخرج الذمّيّ والمراة من وجدة الى وادي نون ولا تجدان من يسالهما من اين والى اين والرخاء المفرط لا قيمة للزرع ولا للادام ولا للماشية ولم يبق بارض المغرب سارق ولا قاطع الطريق وفي عام ١١٣٢ امر السلطان بهدم ضريح مولانا ادريس والزيادة فيه من نواحيه الاربع اشترى الاصول المجاورة وزادها فيه واستمرّت الخدمة الى ان كمل وفي عام ١١٣٣ مات القايد عبد الله الروسيّ وفيها غضب السلطان على اهل فاس ووجّه لهم جدونًا الروسيّ وابا عليّ وامرهما بقبض المال من اهل فاس فبعثوا علماءهم واشرافهم للشفاعة فلم يقبل واشتغلوا بدفع المال فلم يسلم منهم احد ولم يعرف له عدد وخلت المدينة ولم يبق بها احد من اهل اليسار وفيه خرجت محلّة الاصبنيول من سبتة لمحلّة المسلمين على غرّة منهم فاستولوا عليها ونهبوها وقتلوا وسبوا ونهبوا دار الباشا احمد بن عليّ واخذوا ما فيها من الزرع والسمن وحازوا شبارات المسلمين وعساكرهم وحازوا قصبة افراق ورجعوا لسبتة ومنها ذهبوا لبلادهم ولم يبق بسبتة الّا من كان بها وكان هذا الخطب عام ١١٣٤ وفيه مات الباشا غازي ابو صفرة صاحب مرّاكش في المحرّم وفي صفر مات ابو عزيز وصدوق صاحب رجانة وفيه انتقل مولاي عبد الملك من مرّاكش لتارودانت وكان لمولانا اسماعيل من الولد على ما تواتر به الخبر من الذكور خمسماية وثمانية

وعشرون ومثله من الاناث والذي خلّف منهم وعقب عليه ما شاهدناه وعرفناه في دفتر السلطان سيّدي محمّد بن عبد الله رحمه الله اذ كان يفرّق عليهم الصلة في كلّ عام وكنّا نتوجّه بها لهم لسجلماسة مائة دار وخمسة ديار لاولاده لصلبه وامّا الذين لم يعقبوا او عقبوا وانقطع عقبهم فليسوا في الدفتر والذي حفظناه من اولاده ثمانية نعرفهم بصفاتهم واسمائهم ومن بناته ثمانية وعشرون كان انزلهن السلطان سيّدي محمّد ابن عبد الله رحمه الله بقصر الفريدة[1] ومعهنّ الخدمات اللواتي لا ازواج لهنّ وكان يرتّب لهنّ المؤونة والكسوة ويوجّه لهنّ الصلة كلّ عام نفرّقها عليهم من جملة صلة الاشراف وكان في سجونه من اسارى الكفّار خمسة وعشرون الفًا ومن اهل الجرائم العظيمة كقاطع الطريق والمتلصّص نحو الثلاثين الفًا وكلّهم يخدمون نهارًا ويبيتون بالدهاليز ليلاً ومن مات منهم يدفنه في البناء ولم يبق منهم لاهل الدعاوي والفساد محلّ ياوون اليه ويمتنعون به حتّى انّ مجهول الحال اذا بات في حلّة او دشر يقبضونه الى ان تتبيّن براءته وان سرّحوه يؤدّون ما سرقه ونهبه او اقترفه من الحرام وكانت مدّة خلافته ايّام الرشيد اخيه سبعة اعوام وكانت مدّة ملكه سبعا وخمسين سنة ولمّا مرض مرض موته وجّه لوليّ عهده احمد الذهبيّ فقدم عليه من تادلة واقام عنده ثلاثة ايّام ومات يوم السبت السابع والعشرين من رجب الفرد عام ١١٣٩ رحمه الله ودفن بضريح الشيخ المجذوب

دولة السلطان احمد الذهبيّ ابن اسماعيل بن الشريف بن عليّ رحمهم الله تعالى

ولمّا مات السلطان اسماعيل رحمه الله اجتمع قوّاد العبيد وقوّاد الودايه

[1] B جريد.

ورؤوساؤهم وعلماء الدولة وفضائها وكتّابها وبايعوا وليّ العهد السلطان احمد الذهبيّ ولمّا بلغ خبر موت السلطان لفاس قتلوا قايدهم ابا عليّ الروسيّ وقدم ببيعتهم علماؤهم واشرافهم واعيانهم لمكناسة ودفعوا بيعتهم وهديتهم فولّى عليهم القايد المحبوب العلج ولم يعاتبهم بما فعلوا وقدمت وفود القبايل واهل الحواضر ببيعتهم وهديتهم فاجاز الوفود وفرّق الاموال في العساكر كلّها واعطى العلماء والاشراف والطلبة ووجّه العمّال لعملهم بعد قتل من قتل منهم كعليّ بن يشّ وابن الاشقر واحمد بن عليّ وابن مرجان الكبير قايد عبيد الدار وصاحب بيوت الاموال ولمّا فرغ من عمله دخل داره واعتكف على لهوه ولذّاته واهمل المملكة ولم يلتفت لما يقع فيها وفي ايّام بيعته حرّك احمد الباشا لتطاون ودخلها وحاربه اهلها مع اميرهم السيّد محمّد الوفاش[1] واخرجوه منها ولم يبايع السلطان احمد ولا قدم عليه فاختلّ نظام الملك لاهماله الرعايا وقتل رجال الدولة الذين كانوا قواعدها واستخفّت الرعية بامر السلطان فمدّوا ايديهم للنهب في طرقات المسلمين اذ لا وازع لهم واشتغل البربر بشراء الخيل والسلاح ورجعت هيبتهم الى ابدانهم بعد ان كانوا في قيادة النحاس فكثر العيث في الطرقات والنهب في اطراف المدينة وقصد الشكاة باب السلطان فيها واوقفوا من يسمع منهم ولا من ينصفهم وفي محرّم ١١٤٠ اغار الوداية بفاس على سوق الخميس ونهبوا ما فيه وسلبوا وقتلوا وقبضوا على بعض اهل فاس وسجنوهم عندهم فوجّه اهل فاس جماعة من الاشراف والطلباء بقصد الشكاية على السلطان فلم يجتمعوا به وقبضهم محمّد بن عليّ بن يشّ صاحب الثورة وسجنهم ولمّا بلغ خبر سجنهم لاهل فاس وقع الحرب بينهم وبين الوداية واغلقوا ابواب المدينة وعلموا انّ ذلك من السلطان لانّ الوداية كتبوا له بانّ اهل فاس شقّوا العصا فتراوفت عليهم العساكر من

[1] B عمر الوفاش.

عند السلطان احمد وحاصروا فاس وركّبوا عليها المدافع والمهارز والمجانيق واستمرّ القتال الى ان وجّه السلطان اخاه المستضيء مع الشرفاء الذين سجنهم محمّد بن عليّ بن يشّ وشرفاء مكناسة ليقع الصلح بين الوداية واهل فاس ووجّه معهم ولده ابا فارس يسكن معهم ويكون واسطة بينهم وبين السلطان فوقع الصلح ورحلت المحلّة ومن الغد اصبح عليهم الوداية بالحرب ورمى الكور ورجع الحرب كما كان ثمّ وجّه لهم السلطان موسى الجراريّ[1] في شان الصلح فوجّهوا معه جماعة من الاعيان والاشراف وشرط لهم رهنًا من اصحابه فلم يجتمعوا بالسلطان ولم يحصلوا على طايل ورجعوا لفاس واستمرّ الحرب الى ان وجّه لهم عبيد الديوان من مشرع الرمل انّهم عزلوا احمد وولّوا اخاه عبد الملك ويطلبون موافقتهم فاجابوهم لذلك وحلفوا لهم على الوفاء واكرموا وفدهم ورجعوا ولمّا راى قوّاد العبيد وقياد رءوسهم ما وقع بالناس وما بلغوا اليه من الفساد وما وقعوا فيه من سوء الحال والتدبير قاموا لترقيع هذا الخرق وكتبوا كتبهم ووجّهوا رسلهم لاخيه عبد الملك الذي بالسوس لياتوا به للقيام بامر الملك ظنًّا منهم انّه احسن من احمد ووجّهوا جريدة من الخيل ياتي معها فلمّا وصلته المكاتب والخيل خرج من تارودانت وجدّ السير الى ان بات بوادي بهت ولمّا بلغ خبر مبيته بالوادي دخل قوّاد العبيد على احمد واخرجوه من دار الملك وخلعوه وسجنوه بدار التي بالهديم خارج القصبة ولمّا اصبح ركبت العساكر والقوّاد واهل الدولة لملاقاة السلطان عبد الملك فاعترضوه بظاهر مكناسة وضربت المدافع والطبول ولعبت العساكر البارود وكان يوم دخوله لمكناسة عيدًا من الاعياد وذلك في شعبان عام اربعين وماية والف

[1] B الجداري.

الخبر عن دولة السلطان عبد الملك بن اسماعيل

ولمّا خلع الجند السلطان احمد وبعثه حضر اهل الحلّ والعقد من الاحرار والعبيد والعلماء والقضاة وبايعوا السلطان عبد الملك وقدم عليه اهل فاس وعلماؤهم واشرافهم واعيانهم ببيعتهم وهداياهم وقدم عليه وفود الحواضر والبوادي وعمّال القبايل ببيعاتهم وهداياهم وجلس للوفود الى ان فرغ من شانهم ودفعوا له اخاه احمد فوجّهه لسجن فاس ثمّ بدا له راي فيه ووجّهه لسجن بسجلماسة واملوا ان عبد الملك يسير بسيرة والده ويصلح ما افسد احمد فخاب سعيهم فيه وامسك اليد عن العطا للعساكر والوفود فطلب العسكر البخاريّ راتب البيعة فوجّه لهم اربعة الاف مثقال فتعجّبوا من فعله وكان راتبهم على عهد السلطان اسماعيل ماية الف مثقال ولمّا بويع احمد اخرج لهم ماية الف وخمسين الفًا وخصّ امراء[1] منهم بالف للواحد فلمّا راوا ذلك تكلّموا بخلعه وعزله فلمّا بلغه كلامهم صار يوشّي بينهم وبين قبايل المغرب ليجمع كلمتهم ظنًّا منه انّهم يقاومونهم ثمّ اشتغل بالتضريب بين البربر والعبيد يحرّض البربر على العبيد ويحرّض العبيد على البربر فبدا لهم ما لم يحتسبوه فاتّفقوا على عزله وردّ احمد لسلطانه لسخاوته وبسط يده بالعطا فكتبوا له ووجّهوا جريدة من الخيل تاتي به من سجلماسة فلمّا سمع بذلك عبد الملك وجّه مولاي الطيّب بن محمّد للعبيد بمشرع الرمل يعتذر عنه ويردّهم عمّا عزموا عليه من عزلهم ايّاه وينهاهم عن شقّ العصا ويحذّرهم عاقبة البغي فلم يسمعوا كلامه ولا قبلوا منه موعظة وركبوا من مشرع الرمل وقصدوا مكناسة فاغار سباقهم على سرحها ونهبوا الرفاق ومن الغد دخلوا مكناسة ونهبوها وهتكوا حرمتها[2]

[1] B ابراذا.

[2] B حرماتها.

وقتلوا من ظفروا به من اعيانها ولمّا سمع عبد الملك بذلك خرج من مكناسة بعياله وخدّامه وخاصّته[1] واصبح على فاس فاراد الدخول لفاس الجديد فمنعه الوداية فدخل لفاس القديم واستخفى بضريح مولانا ادريس وبعث لاهل فاس فقدموا عليه فاستجار بهم ولمّا دخل فيلاد العبيد القصبة ليقبضوا على عبد الملك لم يجدوه واخبروا انّه هرب ليلاً لفاس فنادوا في المدينة بعزله وتولية السلطان احمد

دولة السلطان احمد الثانية

ولمّا قدم السلطان احمد من سجلماسة ودخل دار الملك بمكناسة حضر القوّاد والقضاة والعلماء والاشراف وبايعوا السلطان احمد الذهبيّ عام ١١٤٠ ففرّق المال على الاجناد على العادة وقدم عليه وفود اهل المغرب من الحواضر والبوادي غير اهل فاس لم يات منهم احد وكذلك الباشا احمد الريفيّ وقبايله وكان العبيد لمّا فرّ عبد الملك قبضوا على رماة اهل فاس الذين كانوا متوجّهين للحركة مع عبد الملك وثقّفوهم وهم خمسماية رام وقايدهم فامر السلطان احمد ان تجعل عليهم السلاسل والاكبال ويدفعوا للخدمة وسبب تاخير اهل فاس عنه خوفٌ ممّا ارتكبوه من قتل الريفيّ ونهب امواله ومال السلطان الذي كان عنده وكانوا مرتقبين سطوة احمد لما بايعوه اوّلاً فلم يلتفت اليهم وكان مشغولاً بامر نفسه ولمّا دخل عبد الملك بلده جاءوا له وبايعوه وجاهروا[2] بالعصيان خوفاً ممّا صدر منه اوّلاً واخراً فكتب لهم السلطان ان يسلّموا له اخاه او ياذنوا بحربه فامتنعوا واغلقوا الابواب ثمّ وجّه لهم القايد صالحًا الليريني لياتي ببيعتهم ويسرّح لهم اخوانهم المسجونين فلمّا فرغ من كلامه قتلوه وجرّوه وعلّقوه بالتوتة

[1] B حاشيته.

[2] B جاهدوا.

وقتلوا[1] الخيّاط عديل بباب داره وخرج عبد الله ابن ادريس الادريسيّ في جمع من الخيل والرماة الزواغة فاغاروا على سرح الوداية غنمًا وبقرًا وبهايم وبلغوا به لفاس فبيعت البقرة بستّة اواق والنعجة بدرهم[2] ووقع الحرب فخرج لهم السلطان احمد من مكناسة في اوّل يوم من المحرّم فاتح واحد واربعين ومائة والف ونزل على فاس بجميع العساكر وركّب عليها المدافع والمهارز والمجانيق وامر العساكر بالعيث في اجنّتها وبحايرها ونسف ثمارها وامر الطبجيّة بارسال صواعق البومبة والكور وحجارة المجنيق عليها ليلًا ونهارًا فارسلوها الى ان عمّها الخراب وانهدم كثير من دورها واستمرّ عليها الحرب ايّامًا مترادفة الى ان مات اكثر رجالها بعضهم بالحرب وبعضهم بالصواعق[3] خمسة اشهر متوالية الى ان ضاق بهم الحال وضعفوا عن مقاومتهم وقلّت الاقوات وارتفعت الاسعار وبايعوا احمد وصالحوه على دفع اخيه وتمكينه منه وكتب لاخيه عبد الملك تخيّره في التوجّه لسجلماسة او المقام في الحرم فاختار المقام في الحرم ثمّ انّ السلطان كتب لاهل فاس ان لا يجتمع معه احد ولا يكلّمه ولا يُشتري لاحد من اصحابه ولا يبيع لهم ومن فعل يعاقب فلمّا راى ذلك عبد الملك وجّه ولده للعبيد فطلب منهم ان يومّنوه ويخرج معهم فقدم عليه الباشا سالم الدكّاليّ في خمسين من القياد وعاهدوه بضريح مولانا ادريس بالامان فمكّنوه لاخيه ولمّا وقف بين يديه وسلّم عليه امر بتوجيهه لمكناسة يسجن بها فابلغوه لها وسجنوه بدار الباشا مساهل ولمّا رجع السلطان احمد لمكناسة مرض فلمّا احسّ بالموت امر بخنق اخيه عبد الملك فخنق ليلًا ليلة الثلاثاء اوّل يوم من شعبان العام ومات احمد الذهبيّ ليلة السبت الرابع من شعبان المذكور رحمهما الله وعفا عنهما ودفن

[1] B ajoute ici الحاج.

[2] B باوقية.

[3] B بالحجارة والكور والبومبة.

عبد الملك ليلاً بقبّة الشيخ ابن عيسى ولمّا خفي موت عبد الملك عن بعض خسيسة العقول زعموا انّه ساح وكانوا ينتظرونه يرجع ويكون سلطانًا حتّى الان رحمه الله

دولة مولانا عبد الله بن اسماعيل الاولى

ولمّا مات السلطان احمد الذهبيّ اجتمع الناس اعيان الدولة واهل الديوان من العبيد واتّفقوا على بيعة السلطان عبد الله وهو بتافلالت كان قدم مع اخيه عبد الملك من السوس ولمّا فرّ لفاس توجّه هو لدارة بتافلالت فبايعوه ونادوا باسمه بالمحلّة ووجّهوا جريدة من الخيل تاتي به وكتبوا لاهل فاس كتابًا بالتعزية فيمن مات من اخوانهم في الحصار والحرب واكّدوا عليهم في عدم المخالفة والموافقة على بيعة السلطان عبد الله ولمّا وصل الكتاب قرئ على المنبر بالقرويّين بفاس فاجابوا بعدم المخالفة ان حضر ولمّا بلغت الجريدة قدموا من تافلالت ونزل بظاهر فاس بالمهراس[1] خرج لملاقاته الفقهاء والاشراف واعيان الناس فاجتمعوا به وسلّموا عليه ففرح بهم وباشرهم بالاحسان وواعدهم الدخول لزيارة مولانا ادريس في غده ورجعوا لفاس ومن الغد لبسوا زينتهم وحملوا اسلحتهم والويتهم وخرجوا لوعده فلمّا قابلوه ركب على فرسه في جملة من خدّامه وحاشيته وتوجّه معهم لفاس على باب الفتح وكان في جملتهم جدون الروسيّ عدوّ اهل فاس فلمّا رآه بعض سماسرة الفتن من اولاد ابي يوسف كان قتل اباهم تكلّموا في شانه واتّفقوا على قتله اذا دخل المدينة فلمّا رآهم جدون في ناحية تنحّى عنهم فتبعوه ففرّ فصدم وركض فرسه الى ان حاذى السلطان واخبره خبرهم وهو على قنطرة الرصيف فرجع السلطان على طريق جامع الحوت على جزاء ابن عامر وخرج على باب

[1] B بالهراس.

الجديد ولم يزر مولانا ادريس ودخل لفاس الجديد فلم يعرف الناس سبب ذلك ومن الغد طلع اليه اهل فاس وقاضيهم وعلماؤهم واشرافهم واعيانهم بالهدية والبيعة وعرفوا السبب ولمّا اجتمع الفقهاء بالسلطان وجّهوا[1] له كلامًا في معنى العذر وانّ ما وقع من السفهاء فلم تجبهم عن ذلك ودفع اهل فاس بيعتهم وهديتهم وامرهم ان يعيّنوا الخمساية رام التي تتوجّه من عندهم مع السلطان ولمّا توجّه السلطان لمكناسة توجّهوا معه ولمّا قرب من مكناسة لقيه قوّاد العبيد بعساكرهم وقوّاد العرب والبربر ودخل مكناسة دار الملك في ترتيب عجيب وحضر الفقهاء والاشراف والاعيان فبايعوه البيعة العامة وقدمت عليه الوفود من الافاق المغربيّة وجلس لملاقاتهم الى ان فرغ من شانهم ففرّق الاموال على العادة لكلّ الناس الّا اهل فاس حرمهم ولمّا حضر العيد قدم اهل فاس بهديتهم ومعهم الاشراف والفقهاء والطلباء لحضور العيد معه على العادة فخرج يوم العيد للمصلّى ولمّا رجع من صلاة العيد امر للقادمين للعيد من اهل الحواضر والبوادي بالجوايز غير اهل فاس لم يعطهم شيًا ومن الغد امر بحضور اهل فاس في المشور فلمّا وقفوا بين يديه قال لهم يا اهل فاس كاتبوا اخوانكم يسلّمون لنا القصاير والبساتين لانّهم للمخزن ومن وظايفه وان امتنعوا فانّي آتيهم واهدم عليهم تلك القرية فاجابوه بالسمع والطاعة ورجعوا لمحلّتهم ولمّا امسى المساء ارتحلوا بمحلّتهم تحت جناح الليل فما اصبح الّا وهم داخلون على باب فاس فلمّا ابلغوهم كلامه اتّفقوا على عدم تمكين القصاير والبساتين ووجّهوا فقهاءهم واشرافهم واعيانهم للشفاعة فلم يقبل منهم وردّهم بغير طايل ثمّ اتّفق رايهم على توجيه هدية جمعها التجّار ووجّهوها مع جماعة من اعيانهم وجماعة من التجّار فتعرّض لهم الوداية واخذوا الهدية وسلبوهم وسجنوهم بفاس الجديد وقالوا لهم انّ السلطان امرنا بحصار فاس فاعلنوا بالخلاف

[1] B لوحوا.

وناهوا في المدينة من اراد الخروج لبلده فليتجهز في ثلاثة ايّام واغلقوا ابواب مدينتهم فلمّا سمع ذلك السلطان عبد الله قدم لحربهم في خامس عشر من شوال العام ونزل على فاس بعساكره من كلّ ناحية وسرّحها للعيث وقطع الاشجار وتخريب المباني وافساد الزرع والبحاير وقطع عنهم الوادي واقامت العساكر تحاربهم من كلّ ناحية على كلّ باب وبالليل يامر الطبجيّة والاعلاج والنصارى بارسال الصواعق المدبّرة البومبة والكور وحجارة المجانيق فلا ينامون ليلًا ولا نهارًا الى ان ايسوا من الفرج وضاق بهم المتّسع وارتفعت الاسعار وكثر الهرج فبعثوا له في الصلح فقال على القصاير والبساتين فعادوا للحرب وتجلّدوا الى ان ضعفوا عن مقاومة العساكر وعضّهم ناب الحرب فاذعنوا لتمكين القصاير والبساتين ووقع الصلح على يد القايد محمّد السلوي بضريح مولانا ادريس وتوجّه معه الاعيان والاشراف لفاس الجديد واجتمعوا بالسلطان فاكرمهم واعطى العلماء والاشراف الف دينار وكسى الاعيان وقيّد عليهم الحاجّ السلوي وفي ثاني المولود دخل القصبة وعمر الحابه البساتين وافتتح عمله بقتل الشيخ دحمان النقاد[1] فلمّا بلغ خبره للسلطان عزله وولّى الباديسيّ ولد حدون الروسيّ ثمّ بعد حين عزله وولّى عبد النبيّ بن عبد الله الروسيّ وارتحل في ربيع الاوّل من عام ١١٤٢ وفي هذا العام وجّه السلطان ولده سيّدي محمّدًا مع امّه خناثة ابنة بكّار لاداء فريضة الحجّ وهو دون البلوغ من عشرة اعوام وفيه دخل مكناسة فوجد القبايل عادت لحالها الاوّل من ركوب الخيل واقتناء السلاح والعيث في قبايل المغرب[2] والطرقات فامر العبيد بتجهيز الحركة لتمهيد البلاد وخرج قاصدًا تادلة لقمع ايت عمّور الذين كانوا اضرّوا باهلها لمّا اطردهم ايت مالوا من بلادهم نزلوا بتادلة واوقدوها نارًا وفتنة وكثر

[1] B النقادي.
[2] B العرب.

شاكيهم على السلطان فلمّا احسّوا بقدومه هربوا لبلاد ايت يسري فتبعهم الى ان وقع بهم بوادي العبّاد فقتل منهم الفًا ونهب اموالهم ولمّا رجع لتادلة قتل عشرين من اعيان اهل فاس الذين معه في الحركة وكتب لاهل فاس يعتذر عن قتل وياءمرهم بتعيين حركة اخرى فعيّنوها وسرّدها جدّون الروسيّ براس الماء ومن الغد قتل جدّون الروسيّ عبد الواحد بتير[1] ومحمّد بن الاشهب بباب السجن وجرّهما ومن الغد اصبح جدّون يهدم ابواب المدينة فهدم باب المحروق وباب القيسة وباب الحديد وباب الجديد وباب الفتح وحمل ابوابها لفاس الجديد وفي اوّل المحرّم من عام ١١٤٣ ابتدا هدم سور المدينة ولحق الانقاض لفاس الجديد ثمّ ورد كتاب من السلطان بالعفو عن اهل فاس فهرب جدّون الروسيّ لزاوية زرهون ورجع السلطان من الحركة فولّى على فاس الطيّب بن جلّول ولم يتولّ على فاس افجر منه كان ظلومًا غشومًا[2] حتى سمّي حجّاج الوقت وقد اغرا السلطان بنهب زرع العرب الذي بالمدينة فامر بجمعه فتوجّه الاشراف للسلطان في الشفاعة فوبّخهم وسبّهم وردّهم واستمرّ على عمله وقتل احمد فرطاس بن موسى بباب مدرسة الصفّارين وولّى على المواريث وديوان الخراصين عبد الواحد بن سودة وكان من امثاله وفي شعبان من عام ١١٤٤ قتل السلطان عبد الواحد بن سودة بتادلة ولمّا قدم لمكناسة توجّه ابن جلّول بالهدية فنكبه وسجنه وولّى على فاس عبد اللطيف بن عبد الخالق الروسّي وفي هذا العام اكمل باب منصور العلج وسور القصبة وفيه وجّه عبد الرزّاق ولد عليّ بن يشّ لفاس وقبض تجّارهم ودخل دورهم وحوانيتهم واشتغل بقبض المال منهم الى ان بلغ ماية وعشرين الفًا فعفا السلطان عنهم وتوجّهوا معه بالمال حتى دفعه فامرهم بالزيادة عليه وسجنهم وغضب على عبد

[1] B بشير ou بشيد.
[2] B جهولًا.

اللطيف الرفيعي على تأخير الرماة وامر بضربه ثم ذبحه وفي عام ١١٤٥ توجه لحركة السوس بنفسه ورجع فامر النصارى والشعانبة بهدم مدينة الرياض التي كانت زينة مكناسة وبهجتها وفيها دور العمال والكتاب والوداية واهل دولة السلطان اسماعيل كلهم بنوا فيها وبنا فيها السلطان اسماعيل المسجد الاعظم والمدرسة والاسواق والحمامات وكان يقصدها التجار بالبضائع فلم تمض عليها عشرة الا ان صارت كدية تراب وفي هذا العام قتل موسى الجراري وثلاثماية من اولاد جرار قدموا من الحركة فلما قابلوه امر بقتلهم وفيه قتل ثلاثماية وخمسين من المجاهدين من اهل الريف قدموا عليه من طنجة لترفيع الخوف الذي بينه وبين الباشا احمد بن علي فكان قتلهم سببًا في نفور احمد بن علي وتقدمه للسلطان المستضيء وفيه قتل مايتين من جاوة من بني حسن على شكوى قطع ببلادهم وفي عام ١١٤٦ فسد ما بينه وبين العبيد لكثرة من قتل من رؤسائهم واعيانهم وقوادهم الى ان استأصل عظماءهم وذلك سبب قتلهم لاخيه عبد الملك فوجه لهم مالًا طيب به نفوسهم وامرهم ان يعينوا للحركة من يتوجه لجبل اين مالوا وفيه وجه محمد وعلي الزموري عاملًا على فاس وقال له اقبض منهم المال والقه في ابي الخراريب ولا تتركه عندهم ولا تأتيني بهم فما اصغاهم الا المال حتى استحقوا بالهلكة فتوجه لفاس ونزل بدار ابي علي الروسي بالمعادي وعين النقباء في كل حومة نقيب فرموا له التجار من كل حومة واهل اليسار والاصول وامر النقباء ان ياتوه بالتجار واهل اليسار الى ان حضروا عنده فامر بسجنهم وفرض عليهم خمساية الى مثقال من العشرة للثمانية للسنة للاربعة الى الثلاثة الى الفين واشتغل بقبض المال ثم فرض على اهل الحرف من الالف الى الماية ومن تغيب يقبض ولده او اخاه او زوجته وتمادى على ذلك وفرت الناس من فاس وتفرقوا في مدن المغرب وقراه ومنهم من بلغ تونس ومصر والشام والسودان وكان كلما يقبض من

المال يوجّهه للسلطان بمكناسة ولمّا بلغه فرار السلطان عبد الله من مكناسة خرج من فاس ليلًا وفي عام ١١٤٧ وجّه المحلّة لجبل ايت مالو فيها خمسة عشر الفًا من العبيد فايدهم الباشا قاسم بن ريسون ومعهم ثلاثة الاف من الوداية فايدهم القايد عبد الملك ابو شفرة ولمّا بلغوا وادي امّ الربيع اخلى لهم البربر البلاد فتبعوا اثارهم الى ان توغّلوا في الجبال فوجّهوا من سدّ الثنايا باشجار الارز ودارو لهم فانهزموا راجعين فوجدوا الثنايا مسدودة بالاشجار فتركوا الخيل والاثقال واعترضوهم البربر على الطرقات يسلبون ويسرّحون ولم يقتلوا احدًا وبلغوا مكناسة مجرّدين فكان هذا اقوى سبب في بغضهم له مع ما سبق من قتله لهم فاتّفقوا على قبضه وقتله فانذره بعضهم من شيعته فهرب ليلًا من مكناسة واصبح في حلّة ايت ادريس[1] ففرحوا به واكرموه وتوجّهوا معه الى تادلة ورجعوا ومنها توجّه لمرّاكش ثمّ للسوس ثمّ لوادي نون فاقام عند اخواله[2] المعافرة ازيد من عامين وكان معه ولده سيّدي محمّد رحمه الله صغيرًا في سنّه بالغ او دونه فبعث العبيد جريدة من الخيل ناتي بمولاي عليّ بن اسماعيل من تافلالت

دولة مولاي عليّ بن اسماعيل

ولمّا هرب السلطان عبد الله من مكناسة اتّفق روساء العبيد على بيعة مولاي عليّ ووجّهوا من ياتي به ولمّا بلغ مكناسة حضر الفضاة والعلماء واهل الحلّ والعقد من العبيد وبايعوه وكتبوا بيعته للافاق فقدم عليه وفود القبايل والمدن وعمّال العرب والبربر بهداياهم وجلس للوفود الى ان فرغ من شانهم وفرّق على العبيد ما عنده من المال وقيّد على فاس

[1] B ادراسن.
[2] B اخوانه.

مسعودًا الروسيّ واستمرّ الحال على ذلك الى ان طالبه الجيش بالراتب فقبض على امّ اخيه خناثة واخذ ما عندها من المال فاعطاه في راتب الجيش وطلبها بغيره وضربها وامتحنها لتقرّ بالمال فلم تحصل على طايل ثمّ انّ مسعودًا الروسيّ قايد فاس قتل الحاجّ احمد كبير الكطّيين غدرةً اذ كان هو ممّن ضرب الاجناب على ابي عليّ الروسيّ حتّى قتلوه عند موت السلطان اسماعيل وجرّه لباب الفتح فاجتمع لموته اهل فاس وحملوا السلاح وتوجّهوا لقتل مسعود الروسيّ فوجدوه هرب فكسّروا باب السجن وسرّحوا المساجين وقتلوا الحرس فلمّا بلغ ذلك السلطان اعرض عنه ووجّه لهم اخاه المهتدي والقايد غانمًا الحاجّ وقال لهم في كتابه انّي عزلت عنكم مسعودًا الروسيّ وولّيت عليكم غانمًا الحاجّ فلم يقبلوه ووجّهوا مع المهتدي اعيانهم بهدية كبيرة فلمّا بلغوا قبض هديتهم ووبّخهم وعدّ عليهم افعالهم وامر بسجنهم فلمّا بلغ ذلك اهل فاس اغلقوا ابواب المدينة وقتلوا اصحاب مسعود الروسيّ وكلّ من له اتّصال به ووقع الحرب بينهم وبين الوداية الى رمضان فوجّه لهم السلطان القايد عبد الله الحميديّ من قوّاد العبيد فلمّا اجتمع بهم اعتذر لهم عن السلطان وقال لهم وجّهوا هديتكم وعلماءكم واشرافكم وكتب كتابًا من عنده للسلطان يعتذر اليه عنهم فلمّا بلغوه سامحهم وسرّح لهم المساجين وولّى عليهم القايد عبد الله الحميديّ وفي عام ١١٤١ عزل عبد الله الحميديّ وولّى عليهم عبد الله الاشعر واشتغل بتفقّد الحركة لاينّ مالوا في خاطر العبيد ليأخذوا بثارهم وخرج بهم في محرّم العام ولمّا اقبل على البربر فرّوا امامه وهو في اثارهم الى ان توغّل في الجبال وقطع الثنايا فاتوه من كلّ وجه وحاربوه فانهزم فاعترضوه في الثنايا فتركوا الاثقال وترجّلوا وافترقوا في الشعاب فكانوا يجرّدون ويسرّحون ولم يتعرضوا لمولاي عليّ في موكبه الى ان قطع وادي امّ الربيع فرجعوا عنه ودخل العبيد لمكناسة مجرّدين فطلبوه الراتب والكسوة فلم

يكن عنده ما يعطيهم وفي ذي القعدة [1] بلغهم وصول السلطان عبد الله من وادي نون لتادلة فتحدّث العبيد بردّه للملك فخالفهم سالم الدكالي وشيعته الذين تسبّبوا في عزله وقالوا لا نعزله علينا فغلبهم شيعة عبد الله وقاموا لهم فهرب سالم الدكالي وقوّاده الى زاوية زرهون فلمّا سمع ذلك عليّ هرب من مكناسة وتوجّه لفاس الجديد فمنعه الوداية من دخوله فتوجّه لتازة ومنها نزل على الاحلاف فضافوه واكرموه واقام عندهم الى ان ياتي خبره وفي اوّل محرّم فاتح عام ١١٤٩ بايع العبيد السلطان عبد الله ووجّهوا رسلهم لتادلة وامّا سالم الدكالي وشيعته الذين بزرهون فانّهم كتبوا كتابًا لاهل فاس وقالوا لهم انّنا اتّفقنا على بيعة سيّدي محمّد بن عربيّة والمشورة اليكم ولعلمائكم فقالوا لهم نحن تبع لكم فبلغ هذا الكلام لسيّدي محمّد بن عربيّة وهو بسجلماسة فركب في الحين وقدم لفاس فلمّا وصل صفرو تحقّق انّ العبيد بايعوا عبد الله فسقط في يده ودخل فاسًا فاختفى بدار سيّدي عبد الرحمان الشاميّ صاحبه وصالحه هذا خبره وامّا رسل العبيد الذين توجّهوا لعبد الله قال لهم لا اقبل بيعتكم ولا اتوجّه اليكم مع وجود سالم الدكالي وقوّاده فلمّا بلغهم جوابه ركب اعيانهم وقوّادهم الى زرهون وقبضوا على سالم الدكالي وقوّاده وسمّروا عليهم الكبال وتوجّهوا بهم لتادلة الى ان اوقفوهم امام السلطان فاستفتى فيهم القاضي ابا عنان كان معه فافتى بقتلهم فقتلوا جميعًا

دولة السلطان عبد الله الثانية

ولمّا هرب السلطان عليّ وبايع العبيد السلطان عبد الله وشرط عليهم قتل سالم الدكالي وقوّاده فاتوه بهم وقتلهم بايعوه وقدموا به من تادلة ونزل قصبة ابي فكران فبايعه الوداية واهل فاس وتوجّه له علماؤهم

[1] B الحجّة.

واشرافهم واعيانهم ببيعتهم لقصبة ابي فكران ولمّا وقفوا بين يديه سبّهم ووبّخهم وهدّدهم وعزل اعيانهم فقتلهم وقتل قايد اهل مكناسة ومن معه وعزل قاضيهم ابا القاسم العميريّ واستباح حرماتهم ووجّه مع العلماء والاشراف محمّد بن عليّ وقيّده على فاس ولمّا بلغهم اقام بالقصبة ولم ينزل لفاس خوفًا على نفسه وفي يوم الخميس نهب الوداية جميع من دخل للسوق واغاروا على سرح اهل فاس فاخذوه وعاثوا في الطرقات ولمّا وقع ذلك تمالى اهل فاس على مخالفة السلطان عبد الله وبيعة سيّدي محمّد بن عريبة[1] المختفي بدار الشاميّ فتوجّهوا اليه وتكلّموا معه وعاهدوه وعاهدهم وقاموا بامره من جميع ما تحتاج اليه من خيل وسروج وسلاح ومضارب ومظلّة ومزارق واحضروا له ذلك واخرجوه من دار الشاميّ في مركب لضريح مولانا ادريس فزاره وحضر القاضي والعلماء والاشراف والاعيان وبايعوه وخرج بالنوبة من السماطين الى باب دار الشاميّ وكتب بيعته في خامس عشر جمادى الثانية عام ١١٤٩ ونزل عليها العلماء ومن امتنع سجن وامتحن وكتبوا للديوان بمشرع الرمل اخبروهم بما فعلوا من بيعة سيّدي محمّد بن اسماعيل وطلبوا موافقتهم فاجابوهم لذلك وبايعوا لسيّدي محمّد بن عريبة بمشرع الرمل وكتبوا بذلك لمكناسة فلمّا سمع السلطان عبد الله ببيعة اخيه ابن عريبة هرب من مكناسة لحلّة ايت ادراسن بمن معه من المتخرّبين والاتباع واقام عندهم ولمّا ورد كتاب العبيد لفاس فتحوا ابواب مدينتهم ومن الغد طلع السلطان لفاس الجديد فبايعوه الوداية ومن الغد توجّه لدار الملك بمكناسة فقدمت عليه وفود القبايل والمدن والقرى ببيعتهم وهديتهم ولمّا فرغ من شان الوفود فرّق على العبيد ما عنده من الاموال لراتبهم فلم يكفهم ذلك واشتغل بنهب الزرع من ديار اهل مكناسة والبحث عليه من الهريات والمطامير وكلّ من اتى به من اهل البادية يوخذ منه

[1] B اسماعيل.

وكلّ من ذكر له انّ له زرعًا يقبضه الى ان تخرج ما عنده ولمّا وقع لاهل البادية من البربر نهب ارزافهم سرّحوا ايديهم لنهب الطرقات والعيث في احواز المدينة ثمّ انّ السلطان عبد الله الذي بالحاجب عند البربر جاء ليلة الى مكناسة ودخل الاروى وقتل من وجد هنالك واحرق نوايلهم ورجع ولمّا بلغ ذلك سيّدي محمّد بن عربيّة امر العبيد بالخروج معه للحركة لعبد الله ومن معه من البربر فخرج من مكناسة ولمّا راى عبد الله ذلك هرب وترك الابنية فنهبها العبيد وتبعوا اثره الى ناحية ملوية فلم يقفوا له على اثر ولمّا رجعوا اعترضهم البربر فحاربوهم وهزموهم واشتملوا على راحلتهم بما فيها وبلغوا صفرو مفلولين فامر العبيد ان يغيروا على القرى التي تحوز صفرو من المزداغر[1] وصنهاجة والبهاليل وعزامة[2] فوجدوا واولاد عبّاد وقال لهم هولاء ليس عندهم الّا مال البربر فقاموا لهم وعاثوا فيهم ونهبوا اموالهم وقتلوا وسبوا وقطعوا الروس ووجّهها لفاس يوهم انها روس البربر ووجّه معها اخاه الوليد يقبض المال من الاشراف ولا يتحرّر[3] احد من اعطى بجلس ومن لم يعطه تخرج للحركة فتحيّر الناس من ذلك واخذ الاشراف عددًا كثيرًا ومن امتنع نهب ماله وداره ومن جملة من نهبت داره مولاي عمر المدانيّ بالاقواس ولمّا قدم لفاس قبض الحاجّ محمّد ابا جيدة بداره فقتله واخذ امواله وباع اصوله وقبض على الحاجّ عبد الخالق عديل واخذ امواله ثمّ تسلّط على اهل الزوايا فنهبهم وكلّ من ذكر له انّه من اهل اليسار اخذ منه ولمّا بلغ مكناسة فعل مثل ذلك باهلها حتّى لم يسلم منه احد والناس في محنة عظيمة من المجاعة والفتنة ونهب الدور ليلًا لا ينام احد من اهل اليسار وكلّ الناس رجعت لصوصًا والوداية يغيرون على الصراف

[1] B المزداغ.
[2] B عزابة.
[3] B يتحذّر.

المدينة وعلى الاجنّة وعلى القصّارين بوادي فاس وبعد ان صاروا يفضّون الكتّان بمصودة اخذوه لهم واخذوا القفل من الفنادق والسلطان معرض عن هذا ولا يلتفت اليه ولقد مات من الجوع عدد كثير واخبر صاحب المارستان انّه كفّن في رجب وشعبان ورمضان ثمانين الفًا وازيد من غير من يكفنه اهله وقايد فاس عبد الحميد المشاوريّ الشريف ينهب المسلمين ويبلغ له واستمرّ الحال على ذلك الى صفر عام ١١٥١ فقبض العبيد على سلطانهم سيّدي محمّد بن عربيّة وقايده المشاوريّ وصاحبه عبد الرحمان الشاميّ وسمّروا عليهم الكبالّ ووجّهوا رسلهم لتافيلالت ياتون بمولاي المستضيء ونادوا باسمه بمكناسة وفاس وخطبوا به

دولة المستضيء بن اسماعيل

ولمّا قدم المستضيء لصهرو لقيه علماء فاس واشرافها واعيانها ببيعتهم وقدموا معه لفاس الجديد فولّى عليهم القايد احمد العقيديّ البازغيّ[1] وهو ولّى عليهم خليفته شعشوع وتوجّه لمكناسة ولمّا بلغها بايعه العبيد البيعة العامّة وحضر لها الفقهاء والاشراف وقدمت عليه وفود القبايل واشياخ الجبال بهداياهم والحال ما حال والقحط ما زال ولمّا فرغ من شان الوفود وجّه كتابًا لعامله عليها يقرؤه على اهل فاس فوجّه لهم فهربوا ولم تحضر عنده الّا نحو العشرين سجنهم وامر اهل فاس بدفع المال وجعل عليهم مالًا كثيرًا لا يقومون بحمله وذلك لما اشتكى عليه مولاي عمر المدانيّ بما فعل معه من نهب داره وانّ اهل فاس وشوا به اليه فقال له انّي ولّيتك عليهم لتستخلص منهم فامتنع من ذلك وقال له هنا من يقوم بامرهم ويكشف عن دسايسهم وهو ابن زيان الاعور فكلّفه المستضيء تحت يد مولاي عمر فكان ينتقم من اهل فاس لعدم مدافعتهم عن داره التي نهبها

[1] B البازعي.

ابن عريبة ثمّ وجّه المستضيء سيّدي محمّد بن عريبة مكبّلاً ليسجن تافلالت ووجّه المشاوي والشاميّ يسجنان بفاس ونهب دار الشاميّ وسلّط عليه العذاب الى ان مات تحته وعذّب مساجين اهل فاس بالضرب الى ان دفعوا بعض المال وقبض على العراقيّ الذي نحرز على مال يزعم انّه اودعته عنده خناثة امّ السلطان عبد الله وامتحنه الى ان افتدى منه بمال وتسلّط ابن زيان على اشراف فاس فكان يقبض منهم المال ثمّ قبض على ابن زيان وطاف به في المدينة على حمار وهو يقول هذا جزاء من يضرب الاشراف وتبرّا منه مولاي عمر فقطع راسه بباب محروق وعلّق به وبقي الاشراف في العذاب وامر بمساجين اهل فاس ان يتوجّهوا اليه في الاكبال ولمّا بلغوه قتلهم وامر بخروج ولد حاميّ من ضريح مولانا ادريس ولمّا بلغه قتله وقدم عليه بنو حسن بهديتهم وكانوا ثمانين ونيفاً ثمّ خرج لحركة فازاز لاخذ ثار العبيد فلمّا بلغ حاربه البربر فهزموه ونهبوا من كان معه من العبيد والوداية واهل فاس واصابه مرض فكتب لاهل فاس بتزيين المدشر يوم انّه غلب فزيّنت ثمّ بعد ايّام عوفي وكتب فزيّنت لصحّته ولمّا بلغ لمكناسة قتل غانما الحاجّ وسعدون قايد مكناسة وستّة من اولاد الرزاميّ اصحاب السجن ثمّ انّ السلطان عبد الله الذي عند البربر امرهم بالاغارة على الوداية اذ ظنّ انّهم لا يبايعون المستضيء ثمّ صحبوه في الحركة فاغاروا عليهم ونهبوا اموالهم وافسدوا زرعهم وديارهم وعاثوا في الطرقات فنهبوا من وجدوه وانقطعت السبل وكان زين العابدين بن اسماعيل قدم من تافلالت ولمّا بلغ مكناسة قبضه اخوه المستضيء وسجنه ثمّ امر بخروجه الى المشور وامر بضربه الى ان اشرف على الهلاك وكبّله ووجّهه مع بعض اشراف تافلالت يسجن بها فلمّا سمع ذلك العبيد وجّهوا من ردّه من صفرو وسرّحوه ووجّهوه لبني يازغ للقايد احمد العقبديّ يجلس عنده ثمّ وجّه امره للباشا احمد الريفيّ ان يتوجّهوا لتطاون وينهبها

ويقتل اعيانها ويهدم اسوارها حيث لم ياتوه فتوجّه لها وحاربها ودخلها وقتل ثمانية من اعيانها وهدّم اسوارها وكتب الى المستضيء بذلك ووظّف عليهم مالاً عظيمًا فقبضه الريفيّ واستبدّ به وفي القعدة بلغ المستضيء انّ العبيد ارادوا عزله وبيعة عبد الله فخرج من مكناسة بقصد زيارة مولانا عبد السلام بن مشيش فتبعه السلطان عبد الله والعبيد الذين معه من المتخيّرين الى ان لحقوه فحاربهم وهزمهم وتوجّه لناحية طنجة واقام بها نحو الشهرين وتوجّه لمرّاكش واخوه الناصر خليفة بها فلمّا بلغها ورد عليه قبايل الحوز بهداياهم وتخلّى عن القدوم اليه قبايل عبدة واحمر فوشى له بهم اهل دكّالة وقالوا له انّ عبدة شيعة السلطان عبد الله فان لم تتمكّن منهم لا يستقيم لك عمل هذا الحوز فوجّه لهم سبحته وكتب لهم بالامان فجاؤوه بماية مع كسوة الشيخ ابي محمّد صالح وحجبته فلمّا وقفوا بين يديه قتلهم كلّهم واعطى خيلهم وسلاحهم لدكّالة فلمّا سمع السلطان عبد الله بتوجّهه من طنجة توجّه لاعتراضه بالمزمّة ففاته[1] المستضيء واقام عبد الله بالمزمّة يرقبه فاتّفق ديوان العبيد على بيعة السلطان عبد الله

دولة السلطان عبد الله الثالثة

ولمّا بايعه العبيد بمشرع الرمل نادوا بخلع المستضيء فكتبوا لاهل فاس والوداية ببيعته فبايعوه عام ١١٥٣ وزيّنت المدينة ولعب البارود وعيّنوا وفودهم وهديتهم وتوجّه به علماؤهم واشرافهم واعيانهم فوصلوه بالمزمّة ومعهم التجّار والحجّاج بهديتهم وقدم من الديوان عبد الله الحميديّ قايد على فاس وفرّ وزير المستضيء على الحمر من مكناسة ودخل قاضيها اخوه ابو القاسم الحميديّ للحرم وكثر الفساد في الطرقات واللصوص بالمدينة

[1] B بعاينه.

واطرافها وفي رجب العام قدم السلطان عبد الله من المزمّة ونزل بباب الريح ولم يدخل مكناسة التي كان بها المستضيء وخرج له فقهاؤها واعيانها فلمّا وقفوا بين يديه قبض على القاضي ابي القاسم العميري واحمد الشرّادي والعبّاس بن رحّال والمليتي وازال طماعهم وفضحهم وقال لهم كيف بكم تزوّجون نسائي لاخي وانا غايب ونكلّهم النكال الكبير وامر بسجنهم واعطى دار العميري واحدًا من قوّاد العبيد وقال لهم كلّ من اراد منكم دارًا ياخذها وعزل الخطباء الذين يخطبون بالمستضيء بالبلدان كلّها وامتدّت ايدي العبيد لاهل مكناسة وصاروا يقفون لهم ليلاً بالابواب ويقولون لهم انّ سيّدي اعطاني دارك وانّ سيّدي اعطاني ابنتك الى ان يفتدى منه بالمال وكانوا في مشقّة لم تلحق غيرهم ومع يدفعون المؤنة للخزن والمسخّرين والخدّامين للبناء بباب الريح ولمّا بلغ الزرع امر المسخّرين بنهب زرع اهل مكناسة فتشفّعوا له مرارًا فلم يقبل شفاعتهم ومن شكى يعاقب ثمّ ولّى على فاس الحاجّ عبد الخالق عديل وعلى قضائها يوسف ابا عنان وامره ان يعزل القضاة والشهود والخطباء الذين كانوا يخطبون في دولة المستضيء وامّا الوداية فلم يقدم عليه منهم واحد ولا بايعوه وكذلك الباشا احمد الريفي واهل الريف واهل الجبال لم ياتوه فاغتمّ لذلك ثمّ شفعت الوداية بامّه خناثة بنت بكّار ووجّهت له جماعة منهم فعفا عنهم وكان وجّه القايد احمد العقيدي عاملاً على قبايله وعلى الحياينة يجبي الاموال فلمّا نزل ببلاد الحياينة عدوا اليه وقتلوه فلمّا بلغه خبره اغتاظ لذلك وغمّ غمًّا شديدًا لانّه كان عمود دولته فاختلّ النظام وفسدت الطرقات وكثر النهب والفساد في كلّ موضع ثمّ بلغ السلطان انّ الباشا احمد توجّه الى القصر ونواحيه ونهب لاهل الغرب اموالاً كثيرة وجميع من هو في غير حزبه فوجّه السلطان عبد الله عسكرًا من عبيد الرملة للقصر ينزلون بها لحراسة الرعية فلمّا سمع به احمد بن عليّ فرّق الراتب وعزم

على الخروج اليه فورد عليه شرذمة من الوداية واخرى من العبيد واخبروه انّ المحلّة رجعت لانّ ذلك الوقت لم تجتمع فيه كلمة لاحد لا من الرعية ولا من الجيش وذلك عام ١١٥٨ وكان زين العابدين لمّا بويع السلطان عبد الله خرج لبيعته وعزل المستضيء وتوجّه من بني يازغ لفاس ثمّ لمكناسة ثمّ بلغ الى الباشا احمد ونزل عليه فاكرمه وقام بامره وكان يتكلّم مع العبيد في شانه ويراسلهم المرّة بعد المرّة فكتبوا له ان يبايعوه ويوجّهوه لدار الملك بمكناسة واتّفقوا على قبض السلطان عبد الله وقتله فانذره بعضهم بما وقع عليه من الاتّفاق فوجّه لامّه خناثة فهربت لفاس الجديد ولمّا اصبح تبعها هو الى ان نزل براس الماء وخرج لملاقاته الوداية واهل فاس فخرج بهم واستعطفهم وقال لهم انتم جيشي وعدّتي وعيني وشمالي نحبّكم ان تكونوا على كلمة واحدة وعاهدهم ورجعوا ولمّا كتبوا عبيد الديوان للباشا واذنوا له في بيعة زين العابدين الذي عنده ووافقوه ووجّهوا له جريدة من الخيل يتوجّهون به لدار الملك فاحضر الباشا احمد القضاة من مدينة تطاون وطنجة والعرايش والقصر وشفشاون[1] وازرو[2] و علمائهم واعيان القبايل الفحصية والخياينة في يوم معيّن فبايعوه

دولة السلطان زين العابدين بن اسماعيل

ولمّا بايع الباشا احمد ومن معه من اهل الفحص والجبال والثغور السلطان زين العابدين في اوّل ربيع الاوّل ١١٥٨ توجّه به العبيد لدار الملك بمكناسة ولمّا دخلها حضر القاضي والفقهاء والاشراف واهل الحلّ والعقد من العبيد وبايعوه البيعة العامّة وكتبوا بيعته للافاق وقدمت عليه الوفود ولمّا بلغ خبر دخوله للسلطان عبد الله هرب من راس الماء الى بلد البربر واقام

[1] B شفشاوى.
[2] B وزار.

عنده وامر زين العابدين قوّاد الديوان ان ياتوه بالحركة لفاس لانّـه لم ياتوه هو والوداية فتهيّؤا للحركة وقدموا عليه بمكناسة وفي نصف جمادى الاولى خرج زين العابدين من مكناسة بالمحلّة ونزل بسيّدي عميرة بقصد حصار فاس البالي والجديد ومن الغد نزلت المحلّة بوطا صهرو ووقع الحرب على باب المساقرين بقنطرة ابن طاطوا وكان الناس في شدّة عظيمة ومن الغد اختلفت كلمة العبيد ووقع النزاع ورجعوا بسلطانهم بعد ان احرقوا نوادر الوداية بالخميس وكفى الله امره ولمّا بلغت المحلّة مكناسة نهبوا اجنّتها واكلوا ثمارها وتوجّهوا للرملة واقام زين العابدين بمكناسة وفي جمادى الاخرة دخل عبد الله فاس الجديد وتلقّاه الوداية واهل فاس وخرج من يومه لدار دبيبغ وفي نصف رمضان ورد عليه كتاب من قوّاد العبيد واخبروه انّ اخوانهم بالديوان عزلوا زين العابدين وبايعوه ففرح بذلك وخرج الوداية واهل فاس يلعبون البارود وزيّنت المدينة وورد عليه الخبر انّ زين العابدين هرب من مكناسة

دولة السلطان عبد الله بن اسماعيل الرابعة

ولمّا بايعه العبيد بمشرع الرمل في رمضان عام ١١٥٠ جدّد بيعة الوداية واهل فاس والعرب والبربر واستمرّ الحال على ذلك الى ذي القعدة الحرام وبلغ الخبر انّ غوغة العبيد رجعوا عن بيعته وخلعوه ووجّهوا الى المستضيء ياتيهم من مرّاكش فاشتغل السلطان عبد الله يؤلّف القبايل من العرب والبربر والوداية مع اهل فاس وحالفهم على انّهم يدافعون عنه ويحاربون من قصده وانّهم يموتون دونه فتمّ ذلك على ما اراد وفي تلك الايّام قدم الحاجّ محمّد السوسيّ من مرّاكش وقالوا انّه دعا اهل فاس لبيعة المستضيء فاعلموا السلطان عبد الله به فامره بقتله فقتلوه وفي اوّل المحرّم عام ١١٥٩ دخل المستضيء مكناسة في عساكر العبيد ومعه وزيره عامر العميري

وقاضيه ابو القاسم العميري واحضر العلماء والاشراف واعيان الديوان وبايعوه
البيعة العامة وكتبوا ببيعته للآفاق وقدمت عليه الوفود من الثغور والجبال
والعرب واقام بمكناسة يتجهز للحركة وينتظر قدوم محلة العبيد من الرملة
وعلى اثر هذا ورد كتاب الباشا احمد الريفي على اهل فاس يدعوهم لبيعة
المستضيء فامتنعوا من بيعته وفي ربيع الأول نزلت محلة العبيد مع المستضيء
بظهر الزاوية فهرب السلطان عبد الله من دار دبيبغ لحلة بني احراسن
البربر ونزل عليهم ومن الغد وقع الحرب بين العبيد والوداية واهل فاس
والحياينة والشراقة[1] واولاد جامع مات فيه من الفريقين واستمر الحرب
بينهم الى اول ربيع الثاني فقدم السلطان عبد الله بجموع البربر من بني
احراسن وزمور وايت مالوا وفروان بعدد لا تحصيهم الا الذي خلقهم ولما
راى المستضيء ومن معه من العبيد جموع البربر وعلموا ان لا طاقة لهم
بحربهم ارتحلوا ليلاً بعد العشاء ولم يصبح الا اثارهم ففرح الناس لفصال
تلك الجمة من غير قتال وفي جمادى الاولى ماتت ام السلطان امة الله
حنانة ابنة بكار ودفنت بقبور الاشراف من فاس الجديد رحمها الله وفي
جمادى الاخرة وقعت فتنة بين الحاج عبد الخالق عديل وسيدي محمد
الغالي الادريسي فاشتكى به عديل للسلطان فامر بقبضه فهرب لضريح
جده فامر اهل فاس باخراجه فضيقوا عليه الى ان طلب الامان فخرج
فوبخه السلطان وامر بضربه فضرب وسجن وامر اهل فاس بقتل الصحابة
فقتلوا ولما سفر الركب النبوي وجه معه السلطان عبد الله ثلاثة
وعشرين مصحفاً كلها محلاة بالذهب منبتة باليواقيت والاحجار الثمينة ومعها
الفان وسبعماية حصاة من الياقوت المختلفة الالوان هدية للحجرة النبوية
على الحال بها افضل الصلاة والسلام وفي الثاني عشر من المحرم عام ١١٦٠
نزل احمد الريفي بجموعه بالغسال ونزل بعده المستضيء بعساكر العبيد فايدهم

[1] B شرية.

الباشا فاتح جمادى ولمّا بلغ اوّل خبر قدومه اجتمع الحياينة والشراقة كلّهم على فاس ودخلوا اجنّتها وداروا بها وازدحموا وتراكمت حللهم[1] خوفًا من هذا الريفيّ والمستضيء وهولهما ووقعت فتنة كبيرة ودهش الناس ومن الغد ارتحلوا لبلاد الحياينة لظنّهم انّهم باقون بها فطافوا بها واخبروا انّهم مجتمعون بفاس فرجعوا ونزلوا اماكنهم وامّا السلطان عبد الله فانّه ركب في عشرة من اصحابه وتوجّه لبني ادراسن فنزل في حلّة عبد الله بن يشّي بسهب اعشار وقلب سرجه في وسط الحلّة فاجتمع عليه اهل الحلّة فقال لهم اعلموا ان هذا الجبليّ كان خديمنا واعطاه المال الذي اكتسبه في وقتنا وجرّأ[2] اخانا المستضيء واراد ان يملك بلادنا ويقتلنا وفي الحقيقة انّ البلاد بلادكم وانتم اهلها جئتكم لتنصروني على هذا الظالم فانتم اولى من ينصر اهل البيت وركب فرسه ورجع على ضيفه ولم يبت الى دار دبيبغ فوجّه البربر كبيرهم محمّد وعزيز واتّفقوا على الحركة الى المستضيء والريفيّ ووجّهوا لبني مالوا وبني حكم وزمّور وقروان ولمّا اجتمعوا قدموا عليه هذا خبرهم وامّا المستضيء فانّه جنّد الجنود العبديّة والريفيّة ورتّبها وعيّن الكتائب ببسيط ازرات[3] والباشا في رحانه[4] ونزل على ربوة تامزايت[5] فطلّ على العساكر والوداية والحياينة واهل فاس امامهم من عين المفي الى دار ابن عمر يطلّون واذا جموع البربر طلّت على دار ابن عمر فلمّا راوا كتائب العدوّ امامهم صاحوا بهم وحملوا عليهم الى ان خالطوهم فانهزموا ولمّا راى الباشا احمد الريفيّ الهزيمة مقبلة ركب وانهزم فيمن معه وترك محلّتهم بما فيها واشتغل البربر بقتلهم وسلبهم الى ان بلغوا المحلّة فدخلوا

[1] B خيلهم.
[2] B جدّ.
[3] B اروات.
[4] B رماته.
[5] B تافرايت.

واحتووا على ما فيها من الاموال والكسوة والسلاح والكراع وغنم الناس غنايم كثيرة والسلطان عبد الله بدار دبيبغ وولده سيّدي محمّد مع الوداية ولمّا رجعوا بالغنايم انتزعها منهم البربر الذين لم يحضروا وكلّ من لقوه من العرب ومعه شيء من الغنيمة اخذوه منه وهكذا حدّثني السلطان سيّدي محمّد بن عبد الله رحمه الله عن هذه الواقعة وامر السلطان عبد الله قايده ابا عزّة صاحب الشربيل[1] ان ياتي بالمدافع والمهارز والكور والبومبة والبارود لانّه بقي ولم يبال به احد من البربر وجمعوا روس القتلى فكانوا ثمانماية وازيد وفيهم راس فاتح بن النوني[2] وفرج الله عن المسلمين امرهم ولمّا بلغ احمد الريفي لطنجة اشتغل بتخليق ما ضاع له من الخيل والسلاح والابنية والكراع واقسم ان لا ياكل لحمًا ولا يشرب لبنًا حتّى ينهب مدينة فاس كما نهبت محلّته ووجّه للمستضيء خمسين قنطارًا لراتب العبيد ومايتين من الخيل والفًا من العدّة ومايتين من الخباوات يدفع ذلك للعبيد وضرب لهم اجلًا يجتمعون فيه بالقصر وفي اوّل صفر العام خرج من طنجة ولمّا بلغ خبر خروجه الى السلطان عبد الله لم يسعه التاخير عن ملاقاته فوجّه للبربر وقال لهم ان ارفع المال فاقدموا علينا فنحن متوجّهون لطنجة ووجّه للحياينة والشراقة واهل الغرب وخرج من فاس ونزل وادي سبو حتّى عرض عساكره ورتّبها وامّا المستضيء فانّه وجّه لبني حسن كانوا في بيعته وقدموا عليه بعشرة آلاف من الخيل لمشرع الرمل وعيّن للعبيد حركتهم ونزلوا مع بني حسن ولمّا بلغ المستضيء انّ السلطان عبد الله خرج من فاس في العساكر انتهز الفرصة وتوجّه لدار الملك مكناسة ولمّا بلغها دخلها ونهب دورها الى ان توسّطها وتدارك اهلها امرهم وحاربوه في وسط المدينة من فوق البيوت وهزموه واخرجوه عنها

[1] B المشربيل.
[2] B النويني.

بعد أن توسّطوا بالقتل والنهب والسبي ومات منهم الكثير ممّا قتلوه ورجعوا بخفّي حنين هذا والباشا احمد بالقصر ينتظر قدوم المستضيء ولمّا سمع الباشا احمد انّ السلطان عبد الله بات قريبًا منه ارتحل بمن معه فلقي السلطان عبد الله بدار العبّاس على وادي لكّس فنزل وامر المحلّة بالنزول فلمّا رأى السلطان عبد الله مشتغلين بالنزول قال للعساكر لا تنزلوا فلا ننزل الّا بالغنيمة او الهزيمة وقصدوهم على غير تعبية فهزم من كان امامهم من الخلط وطليق والبداوة واهل الفحص وراء لاحمد الريفيّ فهزمه وولّوا الادبار وتبعهم العسكر بقتل وسبي الى ان جنّهم الليل ولمّا رجعوا وقفوا على الباشا احمد مصروعًا ميّتًا فعرفه بعضهم وقطعوا راسه واتوا به للسلطان عبد الله فوجّهه في الحين لفاس وعلّق بباب المحروق وحاز معسكر الريفيّ بما فيه من الابنية والمضارب والكراع ومن الغد قدم عليه اهل الجبال والخلط وطليق والبداوة واهل الفحص يطلبون العفو فعفا عنهم الّا من هو من خدّام احمد بن علي وقياده وعمّاله وكاتبه امر بقبضهم فقبضوهم واتوا بهم فنكبهم واستصفى اموالهم ووجّه القايد عبد الخالق عديل وجماعة من اهل فاس فدخلوا دار احمد بن عليّ وجمعوا ماله الذي في خزنته وما في خزاينه من الملف والكتّان والكسوة والسلاح وامر اهل الريف ان ياتوا بما عنده من الخيل والبغال والابل والبقر والغنم فجمعوا ذلك من العرب واتوا به فدفعه كلّه للبربر الذين قدموا معه وهم نحو الاربعة الاف من بني ادراسن وقروان وامرهم باستخراج الزرع من الاهرية والامراس الطلق عليه ايدي العساكر الى ان استوفى غرضه وكان مقامه بطنجة اربعين يومًا هذا خبره وامّا اخوه المستضيء القايم عليه فانّه لمّا انهزم من مكناسة رجع الى مشرع الرمل فبلغه هزيمة احمد بن عليّ وقتله وانّ السلطان عبد الله توجّه لطنجة فحرّض العبيد وبني حسن على تجديد الحركة لاعتراضه اذا رجع ووجّه قايد بني حسن يقدم الحركة وتجدّدها

وامر العبيد ان يعيّنوا حركتهم ولمّا قدم عليه بنو حسن خرج معهم بالعبيد وتوجّهوا لاعتراض السلطان عبد الله وكانت عيونه تاتيه كلّ يوم بخبره الى ان بلغه انّه بات بدار العبّاس التي وقع الحرب مع الريفيّ قريبًا منه فركب عند الفجر بعساكره وكتب كتايبه وجعل بني حسن في مقدمته واصبح على اخبية السلطان عبد الله وهو لا علم له به ولمّا طلّ عليه قال السلطان عبد الله لا ترحلوا وركب في عساكره وترك محلّته وتقدّم في جنوده البربريّة فلقي بني حسن ولمّا وقع القتال انهزموا فتبعهم البربر وتقدّم هو ايضًا في عساكر اهل الغرب للمستضيء مع العبيد فهزمهم وولّوا الادبار وتبعهم العساكر فوجّه القايد ابا عزّة [1] صاحب الشبيل في اثرهم وقال له قل لاخواننا اهل الغرب لا تقتلوا العبيد جرّدوا وسرّحوا فكانوا لا يقتلونهم وتبعوهم الى ان جنّ الليل ورجعوا بالغنايم للسلطان عبد الله وهو في محلّته بدار العبّاس وكانت هذه الواقعة من اعظم الوقايع مات فيها عدد لا يحصيه الّا الله ومات من بني حسن ما يزيد على الالف واخذ لهم من الخيل نحو الخمسة الاف ومن السلاح فوق ذلك وامّا العبيد لم يمت منهم الّا نحو الخمسين في الصدمة الاولى وتوجّه المستضيء مع بني حسن واقام بحلّتهم ينتظر الكرّة وتوجّه السلطان عبد الله لفاس مؤيّدًا منصورًا ولمّا وصلها فرّق الاموال على العبيد الذين مع اصحاب ابي عزّة صاحب الشبيل وهم عبيد تازة الذين كانوا معه واسهم اهل فاس والوداية والبربر واقام بدار دبيبغ الى ربيع الثاني عام ١١٥٧ فقدم عليه جماعة من قوّاد العبيد تايبين طايعين منتصلين ممّا فرط منهم وجاءوه بخلع المستضيء وبيعته فقبل توبتهم وسامحهم وقال لهم لا كلام لي معكم الّا اذا قطعتم دابر بني حسن ومن في حلفهم من شيعته يعني المستضيء فقالوا سمعنا واطعنا فدفع لهم راتب الحركة وامرهم ان يقدموا عليه لمكناسة ومنها

[1] B عزيز.

يتوجّه لبني حسن ومنهم لاهل دكّالة اخواله المبايعين له ومنهم لمرّاكش التي في بيعته واخوه الناصر خليفته بها وتوجّهوا ووجّه الحياينة والشراقة واهل فاس واهل الغرب ان ياتوا لحركتهم وتوجّه لمكناسة ولمّا اجتمعوا عساكره بها وقدم عليه مَن في مشرع الرمل جدّدوا بيعته وكتبوا بها للآفاق

دولة السلطان عبد الله الخامسة

ولمّا بويع البيعة الخامسة بمحضر العساكر والقبايل خرج الحركة وقصد بني حسن على طريق الفجّ ليحوّل بينهم وبين الشعاب فوافاهم ببسيط زبيدة فلم يشعروا الّا والعسكر مطلّ عليهم وخالطوهم ففرّ المستضيء ولم يفلت الّا بعد مشقّة ونهب حلّل[1] بني حسن وسبيت اولادهم وحرمهم وخيامهم وهرب فلّهم للضاية[2] ولمّا امسى جاءوه تايبين فعفا عنهم وردّ عليهم اولادهم ونساءهم وخيامهم وارتحل عنهم الى ان نزل ابالعوان[3] بداره التي بالقصبة ونزلت عساكره ببسيط دكّالة امامه ولمّا بلغ المستضيء لدكّالة فرّت اهلها للحوز واقامت العساكر بدكّالة تستخرج الزرع والدفاين وكلّما فرغت من ناحية انتقلت الى ناحية الى ان نسفوها نسفًا وقطعوا اشجارها وهدموا قراها ولم يبق فيها ما ياكله الطير او يتظلّل به تحته والسلطان عبد الله مقيم بالقصبة سنة كاملة ثمّ انتقل لبلاد الضراغنة فقدم عليه اهلها طايعين فتوجّهوا معه ولمّا نزل على بلادهم قدم عليه اهل دمنات وجبالها من صنافة والبربر فادّوا طاعتهم ولمّا انتقل من بلاد الضراغنة فرّ المستضيء اخوه واهل دكّالة الى جبل مسفيوة وكانوا مبايعين له من

[1] B مال.
[2] B للغابة.
[3] Ce mot étant écrit بولعوان, il se pourrait que le ب fût la préposition بِ.

جلة اهل مرّاكش ونزل السلطان عبد الله لبلاد زمران فقدم عليه الرحامنة واهل السوس واهل الدير متمسّكين بالطاعة فنزلوا معه بمحلّتهم وزادت العساكر لبلاد مسفيوة بالعيث والتخريب والحرق والحرب قايمة كلّ يوم مع المستضيء واهل دكّالة ومسفيوة الى ان الجوًا لوارفلة ثمّ زاد لوادي الزات واستمرّ الحرب والعيث والحريق بوادي الزات الى ان لم يبق به محلّ ولمّا عجزوا عن الدفاع وعدمت عندهم الاقوات ونهبت المواشي وضاعت جوعًا ولم يبق لاهل دكّالة شيء ممّا كان عندهم من المواشي نزل اهل مسفيوة الى السلطان عبد الله بالمصاحف والاولاد وطلبوا الامان فقال لهم تاتوني بالمستضيء يعني اخاه القايم عليه فقالوا انّه هرب بالامس لمرّاكش ولو كان باقيًا لاتيناك به فانّه مشوم علينا خرّب بلادنا وفجع نساءنا وايتم اولادنا فعفا عنهم وسامحهم ومن الغد نزل الى السلطان اعيان اهل دكّالة بنسائهم واولادهم يطلبون الامان وقالوا هذه نساؤنا واولادنا فافعل بهم ما شئت وامّا المال فقد مات وتلف ونهب ونحن بالله وبك فعفا عنهم وامرهم بالرجوع لبلدهم واقام للاستراحة الى ان قدم عليه وفود الدير بهداياهم وطلبوا الامان وطلبوا الرحامنة واهل السوس من السلطان ان يتوجّه معهم لمرّاكش فوعدهم بالمسير معهم ولمّا بلغ المستضيء لمرّاكش وجد اخاه الناصر الخليفة بها مات ومنعه اهلها من دخولها ودافعوه بمخلّف اخيه من خيل وسلاح واثاث وعياله فاخذه وتوجّه وحينئذ توجّه اهل مرّاكش للسلطان عبد الله بعلمائهم واشرافهم واعيانهم ولمّا وقفوا بين يديه دفعوا له بيعتهم واعتذروا بقلّة المعين والمدافع فعفا عنهم وسامحهم وطلبوا منه الوصول لبلدهم ولمّا تفقّد من معه من الجيش والقبايل لم يجد نصفهم كلّهم هربوا من كثرة الحروب وطول السفر وقلّة الزاد لم يعطهم السلطان شياً مدّة من سنتيْن واتّكل بهم على النهب فمن حصل له شيء اكله ومن لم يحصل له شيء ضاع جوعًا فهرب ولمّا راى السلطان عبد الله

فلّة من بقي معه دافع اهل الحوز واهل مرّاكش بتوجيهه ولده سيّدي محمّد بن عبد الله وهو ابو مولانا سليمان رحمهم الله اي دفعه معهم ووجّهه خليفةً عليه بالقصبة بمرّاكش فتوجّه معهم ورجع السلطان عبد الله لدار ملكه ولمّا بلغ الرباط ترك ولده مولاي احمد خليفة بالقصبة على الشاوية وبني حسن وتوجّه فنزل قصبة ابي فكران وقام بها وذلك في ربيع الثاني عام ١١٥٩ وامّا اخوه المستضيء فانّه لمّا توجّه من مرّاكش على دكّالة وجدها خالية بسببه ومرّ بتامسنة فلم يعتبره احد من اهلها ولمّا بلغ بلاد بني حسن لم يعرجوا عليه ولا بلغوه فتوجّه للفحص واقام بحوز طنجة لانّ اهل الريف تحاموا تحامي الجرباء واقام هنالك يتسلّط على ضعفاء اهل الفحص وامّا السلطان عبد الله لمّا ورد عليه اعيان بني حسن هنّوه بالقدوم وكانوا ثلاثماية فلمّا وقفوا بين يديه امر بقتلهم كلّهم وورد على اثرهم جماعة من اهل الريف يريدون على المائة ومعهم زوجة الباشا احمد الريفي وولداها منه بهدية كبيرة فقبض الهدية وقتل الولدين ومن معهما وسجن المراة ولمّا وقع ذلك كثر القيل والقال في الجيش والرعية وكانت ايت ادراسن حرثوا بحوز مكناسة وبلغ زرعهم فامر السلطان عبد الله المسخّرين بحصده اياه ودرسه واخذه حيث لم ياتوه وما ردّهم الّا الخوف حيث كان يقتل كلّ من ياتيه وكتب لكبيرهم محمّد و عزيز اي ابن عزيز يعاتبه على عدم وفوده عليه هو واخوانه اذ كانوا شيعته وكان له معه خلّة عظيمة حتّى انّه كان يقول له ابي مرارًا فلمّا ورد عليه الكتاب قال لاخوانه اجمعوا هديتكم وتاتي جماعتكم لنتوجّه للسلطان فانّه عاتبنا على عدم الوصول اليه فاجابوه بالامتناع وقالوا الم تر ما وقع بمن قدم عليه فقال لستم انتم مثلهم وحتم عليهم في القدوم فاجابوه وتوجّهوا معه بماية فارس الى ان وصلوا قصبة ابي فكران ولمّا راهم حاجبه عبد الوهّاب اليموري سقط في يده لكنّه لم يمكنه ردّهم لمّا بلغوا الباب فاخبر السلطان بمجيئهم فامره

بدخولهم وجلس لهم ولمّا وقفوا امامه دخل عليهم الزبانية والمشاورية والمتخرون واحاطوا بهم فامرهم بالجلوس فجلسوا امامه وقال لمحمد و عزيز هولاء القوم حادوا عن الطريق وافسدوا طرقات المسلمين وعدّد عليهم افعالهم الذميمة وما ارتكبوه من نهب الملوط وعساكرهم فحلّ مالهم ودماؤهم وما رجعت لهذا الامر بعد خروجي منه الّا بسببهم فاردت ان اقابل هذا التيس الاسود مع هذا الكبش الابيض فمن تلف منهما استرحت منه ومن عضّته وامسك بالاخر وامر بالقبض عليهم فقبضوا وكتّفوا بالحبال وامر محمّد بن عزيزان يتوجّه لحال سبيله فقال يا مولاي أغدر بعد عهد ولست من اهله والله لا اتوجّه الّا مع اخواني انا الذي قدّتهم لك بعد عرضهم عليّ هذا كلّه فلا اتأخّر عنهم ولمّا راى منه ما راى قال يا عبد الوهّاب لا خير في رجل يقول للرجل ايه[1] ولا يشفّعه في قبيلته خلوا[2] عنهم وخرجوا من عنده فركبوا خيلهم وتوجّهوا لبلادهم ولمّا ابعدوا قالوا لمحمد و عزيز اعلم انّنا متنا وبعثنا وعرفنا غدر الرجل فاكرهتنا على الوصول اليه والان لا بدّ لنا من اخذ ثارنا ولا تتعرّض لنا فقال لهم شانكم وما تريدون فنزلوا واتّفقوا على الحركة لثلاثة ايّام ومن لم يات باخوانه تحرق خيمته وانفصلوا على ذلك ووجّهوا لقبايلهم ياتوا للحركة فقدموا فلم يشعر السلطان عبد الله الّا ورايانهم مطلّة عليه من الحاجب فامر بركوب عياله على البغال وحمل ما عنده ورتّب المتخرين الذين معه وكانوا اثنى عشر الفًا من العبيد فوجّه عياله مع الرحا يعني الالف والرحا الكبيرة عشرة الاف واردفها باخرى وركب هو في الخيل في القلب وجعل خلفهم رحات اخرى واعجلهم البربر عن حمل خزاينهم فتركوها مبنية وساروا مع الوادي ولمّا بلغهم البربر دفعوا عليهم من كلّ ناحية فاخرج فيهم المتخرون تاروقًا من الرصاص واذا

[1] B ابت.
[2] Il y a ici une erreur de copiste; il faut lire sans doute خلّى.

دفعوا على الخيل كذلك فيسقط الا الاربعون والخمسون وهم في الحرب طول نهارهم الى ان دخلوا للقصبة على باب الفرذير فمات من العبيد نحو الثلاثماية ومن البربر نحو الخمساية ورجعوا بخفي حنين فحملوا امواتهم الى قصبة ابي فكران وكفنوهم في الخزاين ودفنوهم هناك ولما اجتمعوا العبيد مع اخوانهم بمكناسة اخبروهم بما قال السلطان عبد الله لمحمد و عزيز اردت ان اقابل هذا الكبش مع هذا التيس ودارت بينهم هذه الكلمة وجعلوا منها امرًا عظيمًا وكتبوا للديوان بما وقع لهم ومقالة السلطان واستشاروهم في امره فانذر السلطان عبد الله بعض اعيانهم بما قالوا وبما كتبوا للديوان ففي الحين كتب السلطان عبد الله للوداية ووجه رسوله اليهم يقول لهم في كتابه ان كانت لكم حاجة بابن اختكم عبد الله فاركبوا اليه الساعة ولما بلغهم رسوله ركبوا في العصر باربعماية من الخيل واغاروا والسلطان عبد الله حمل امواله وعياله واثاثه واثقاله وتوجه عند المغرب واسرج خيله وبعد العشاء بالغوا الوداية لباب الفرذير فاخرج عياله واثقاله وتوجه تحت جناح الليل فلم تطلع الشمس الا بعد ان كان بفاس الجديد واما العبيد اهل الديوان فاجتمعوا واتفقوا على الرحيل من مشرع الرمل لمكناسة يجتمعون مع اخوانهم الذين بها وكتبوا لاهل مكناسة ان لا تحدثوا حدثًا مع السلطان عبد الله الى ان نصلكم بعد ثلاثة وتهيئوا للرحيل وحملوا اولادهم واثاثهم ومن اثقله شيء تركه الى ان يرجع مرة اخرى فلما سمع برحيلهم بنو حسن قصدوا المحلة فنهبوا من وجدوه تاخر ومن بقي له ثقل نهبوه وتبعوهم فنهبوا من ادركوه وتمزق ذلك الجمع والبقاء لله ولما بلغوا مكناسة دخلوا دورها ورحابها والاماكن المتسعة بها ونزلوا الاروى وقصبة هدراش وباب مراح وباب ابن القاري ولم يبق بها محل متسع الا نزلوه وذلك عام ١١٦٠ واما محمد و عزيز والبربر لما شقوا العصا مع السلطان عبد الله كتب محمد و عزيز لاهل فاس واخبرهم بالواقع فقالوا نحن معكم وكتب للقايد

الحبيب واهل المغرب فقالوا نحن معكم وكتب للحياينة فاجابوا بمثل ذلك وصار البربر يغيرون علي الوداية وينهبون اموالهم والوداية يغيرون علي اهل فاس كذلك فاغلقوا ابواب المدينة وصرحوا بخلع السلطان عبد الله ومخالفته واستمرّ الحرب معهم علي الدوام الي ان ورد عليهم رقّاص الحجّاج فاستغاثوا بالبربر فوجّهوا لهم جماعة فارس يتوجّهون معهم اثارة ليانوا بالحجّاج فتوجّهوا واجتمعوا مع الحياينة وعاهدوهم وتوجّهوا معهم لثارة وقدموا بالحجّاج الي ان دخلوا علي باب الفتوح ونزلوا بالزيتون ودخل من دخل منهم لقضاء غرضه من المدينة فقصدهم الوداية وحاربوهم بالزيتون وهزموهم وتوجّه الحياينة لبلدهم والبربر لبلدهم وقطع الوداية رءوس من قتلوه منهم وكانوا ثلاثين راسًا وتوجّهوا بهم للسلطان عبد الله فامرهم ان يعلّقوهم بسور قصبة الشراقة وبقي اهل فاس في محنتهم فكتب محمّد و عزيز للقايد الحبيب واهل الغرب ان ياتوا بحركتهم للسلطان عبد الله ومن معه من العبيد والوداية فقدموا ونزلوا بمحلّتهم بظهر الزاوية ونزل محمّد و عزيز والبربر بدار دبيبغ وذلك عام ١١٦٠ ولمّا اصبح ركب الحبيب واهل الغرب والخلط وطليق وتوجّوا لدار دبيبغ وتبعهم البربر ولمّا بلغوا محلّة الغرب نهبوها وتوجّهوا لسايس فلمّا سمع الغرب ما وقع بمحلّتهم قطعوا وادي فاس وتوجّهوا لغربهم قيل انّ السلطان عبد الله وجّه بالليل لمحمّد و عزيز والبربر مالًا ليفرّق عنه ذلك الجمع ففرّقه بنهب محلّة الغرب وذلك من فصول السياسة وامّا اهل فاس فانّهم وجّهوا للسلطان عبد الله في الصلح والبيعة فوجّه لهم في القدوم عليه فطلع اشرافهم وعلماؤهم واعيانهم لفاس الجديد فلمّا وقفوا بين يديه وبّخهم وسبّهم وهدّدهم وشرط عليهم شروطًا من جملتها امّا ان يدفعوا له زرع العرب المختزون عندهم بفاس ويهدموا دورهم ويبنون بانقاضها دار دبيبغ ويختاروا بين امرين امّا ان يكونوا نايبة او جيشًا فقالوا نجتمع مع اخواننا ويقع الجواب ورجعوا فاغلقوا

الابواب وقالوا لا نفعل من هذا كلّه شيًا ورجعوا للحرب ووجّهوا رسلهم للمستضيء يأتيهم من ضنجة ليبايعوه فردّ رسلهم بالوعد وفي سابع الحجّة متمّ العام نهبوا القطاطين التي كانت للسلطان عبد الله بفندق النجّارين على يد عديل وكانوا ثلاثة الاف فبرقوق وعبّدوا بهم وقبضوا على الحاج الخياط عديل ليدفع لهم مال المخزن الذي عنده فافتدى منهم بثلاثة الاف مثقال وفي اثناء هذا جاء بنو حسن شاكين على السلطان انّ اهل الغرب لمّا رجعوا من فاس اغاروا علينا ونهبوا اموالنا فكتب السلطان عبد الله للعبيد ان يتوجّهوا معهم للمحلّة ووجّه الوداية معهم ولمّا سمع ذلك اهل الغرب هربوا مع الخلط وطليق ودخلوا للعرايش فحصنوا بها ونزلت عليهم المحلّة واستمرّ الحرب ثلاثة اشهر الى ان ضاعت مواشيهم وهلكت انعامهم بالجذب ثم وجّه لهم السلطان عبد الله المكي والسبحة مع جماعة من الوداية وتوجّهوا معهم بعد العهد للسلطان بهديتهم ولمّا اجتمعوا بالسلطان عبد الله سمح لهم وولّى القايد الحبيب على قبايل الجبل كلّها واما المحلّة لمّا رحلت من العرايش نزلت على القصر فاخرج لهم اهل القصر الضيافة من العلف والطعام ومن الغد ركبوا للقصر واستباحوها ونهبوا الدور وسبوا النساء وفعلوا الافعال ودام عليهم ذلك ستّة ايام الى ان لم يبق ببلدهم ما يطلق عليه اسم شيء ورجعوا لمشرع الرمل والسلطان في الوجود وفي جمادى الاخرة عام ١١٦١ توجّه السلطان لمكناسة بقصد الحركة للبربر فلم يقدم عليه احد وفيه قدمت جموع البربر لفاس فاغاروا على مواشي الوداية وافسدوا مزارعهم ونخايلهم ونزلوا على فاس وقدمت رفقتهم من العبير بالزرع والسمن والصوف والغنم والبقر فباعوا بها واشتروا منها وعمروا السوق عشرة ايام ولم يلقهم احد وصار دأبهم ذلك في كلّ شهر يأتون بارزاقهم فيبيعون ويشترون ويتوجّهون ثم ورد الخبر من ضنجة انّ اهل الريف قبضوا على المستضيء ونهبوا ماله وخيله وما اليه وجرّدوا من معه

بسبب قبضه للقايد عبد الكريم اخي الباشا احمد بن علي الريفيّ واخذ ماله وسلاحه فجعلوا به مثل ذلك وسرّحوه وكتب لاخيه عبد الله يعتذر عمّا سلف منه ويطلب منه محلًّا ينزل به فكتب له في الجواب انّك لم ترتكب قبيحًا وما كنت الّا تطلب ما طلبتُه وهو ملك والدك وما فعلت ما يعاب والآن ان اردت الحلول مثلي فانزل بالصلة فهي احسن من دار دبيبغ التي انا بها وان كنت تطلب الملك فشانك واياه فقد سلّمت لك فيه والسلام وارتحل لاصلة ونزلها واصلح دار الخضر غيلان وسكنها واجتمع عليه سماسرة الفتن فدلّوه علي بيع الزرع للكفّار واشتغل به الي ان بلغ خبره لاخيه السلطان عبد الله فكتب لولده سيّدي محمّد الخليفة بمرّاكش يوجّه من تخرجه منها فوجّه وزيره ادريس بن المشعري في مائة فارس الي عبد الله السفياني فركب معه في خمسماية فارس من اخوانه ونزلوا عليه فاخرجوه منها وحازوا ما وجدوا عنده من السلاح والبارود والاثاث وحملوا اولاده وعياله وتوجّهوا به لفاس فنزل بضريح ابي بكر ابن العربي وبعث ولده لاخيه عبد الله بدار دبيبغ تخبره بما فعل به ولده سيّدي محمّد فقال له قل لابيك انّ محمّدًا اعظم منّي ومنك فلا قدرة لي عليه فاذهب الي بلد ابيك وجدّك واستوطنها يعني تافلالت فانّ الموت قريب منّي ومنك فذهب لصفرو وترك عياله بدار مولانا التهامي بالجوطي ولمّا ورد ادريس بن المنتصر بفشّ المستضيء علي اخيه السلطان عبد الله اخذ البارود وغيره وقال لحاكم فاس اكتب للمستضيء يوجّه من يقبض له فشّه فوجّه من قبضه ودفعه لعياله بدار الشرفاء وهذا خبره وامّا السلطان عبد الله فانّه لمّا توجّه لمكناسة واقام بها صار البربر يعيثون في الطرقات ويغيرون علي سرح مكناسة وكلّ من قدم له نهبوه فاذا خرج العبيد لحربهم يفرّون عنها واذا غفلوا يغيرون عليهم وانقطعت عليهم الميرة وخصوصًا البربر اولادهم من الاخبية والبحاير الي ان ضاق بهم المتّسع فوجّه لهم في الصلح فامتنعوا

وقالوا لهم انّ السلطان عبد الله امرنا بهذا فلمّا بلغهم ذلك اجتمعوا وقالوا لا شكّ فيه انّه من السلطان عبد الله حيث امرنا بالحركة على البربر وامتنعنا وقلنا له حتّى ياتوا اخواننا وباقي القبايل والوداية ونتوجّه جميعًا للبربر سلطهم علينا فاتّفقوا على قبضه وعزله فلمّا بلغه انّ العبيد اتّفقوا على ذلك فرّ منها ليلًا وقدم الى دار دبيبغ فخلعوه وبايعوا ولده سيّدي محمّدًا وصالحوا البربر بعزله وتوجّهوا له لمرّاكش ببيعتهم فلمّا قرئت عليه غضب لذلك وردّها عليهم وقال لهم انّما انا خديم والدي فلا اوافقكم على هذا وردّها على عقبهم فرجعوا لمكناسة واستمرّوا على الخطبة به بمكناسة وزرهون وامّا السلطان عبد الله فانّه صالح اهل فاس وطلعوا اليه فاعتذر لهم وحلف انّه لم يامر بحربهم ولا ضررهم وانّما ذلك من الوداية الذين يغيرون عليهم ووصلهم ورجعوا ففتحوا ابواب مدينتهم بعد حصار سبعة وعشرين شهرًا ووقع الصلح مع الوداية بضريح مولانا ادريس وذلك عام ١١٦١ وفي عام ١١٦٢ وردت الهدية للسلطان عبد الله من عند ولده سيّدي محمّد فيها نحو الثلاثين قنطارًا وفي شعبان اعطى السلطان للعبيد الذين معه خمسة دنانير للواحد وقال لهم ابعثوا لاخوانكم لمكناسة كلّ من اتى منهم يقبض المال ليستجلبهم بذلك فلمّا بلغهم الخبر وجّهوا للبربر الذين بسايس ان يقتلوا كلّ من وجدوه من العبيد متوجّهًا لفاس وفرحوا بذلك اهل مكناسة وبخلعه ولمّا وقع هذا البغض بين العبيد والسلطان عبد الله قدم عليه محمّد و عزيز وجماعة البربر ووقع الصلح بينهم وبينه فاعطاهم عشرة الاف دينار وفي العيد قدموا عليه فاعطاهم عشرة الاف اخرى واعطى الوداية عشرة الاف ولاهل فاس عشرة الاف وهذا كلّه نكاية في العبيد الذين عزلوه وفي عام ١١٦٣ لم ينزل المطر بالمغرب ووقع الغلاء وظهر الوباء وكثرت الفتن فبعثت البربر في الطرقات بالعيث والفساد حيث امنوا مكر السلطان والخلل عرى ملكه بخلع العبيد له وفيه قدم ولده

سيّدي محمّد من مرّاكش لزيارة والده ولمّا بلغ مكناسة وجدهم يخصمون به فتخاصم معهم وعاتبهم وقال لهم انّي بريٓ منكم ومن فعلكم وما انا الّا خديم من خدّام والدي وقد حذرتكم هذا لمّا قدمتهم عليّ لمرّاكش ثمّ تماديتم على ضلالكم فتركوا الخطبة بمكناسة وزرهون وجدّدوا بيعتهم لوالده السلطان عبد الله بن اسماعيل وتوجّه قوّادهم واعيانهم معه لحضرة والده بها

دولة السلطان عبد الله السادسة

ولمّا بلغ سيّدي محمّد لحضرة والده خرج لملاقاته الوداية واهل فاس واهل الحوز ووقفت عساكره التي قدمت معه من مرّاكش نحو الاربعة آلاف من العبيد الذين استركبهم من عبدة والرحامنة واهل السوس ودكّالة وخرج السلطان عبد الله في موكبه ولمّا بلغ للعساكر ترجّل سيّدي محمّد وقبّل الارض بين يدي والده وقبّل قدمه وشفع عنده في العبيد فشفعه فيهم وصالحه معهم وكان ذلك اليوم مهرجانًا عظيمًا لم يبق احد بالمدينة ولا بالحوز وضربت المدافع وزيّنت المدينة وودع السلطان ولده من وقته وقال لا تبت هنا فانّ البربر اهل غدر ومكر فاذا بلغهم خبرك ومن قدم معك اوقعوا بهم وحشوك معهم فجدّ السير لمكناسة فارتحل ولم ينزل الى وادي النجا فبات به واسرى وبلغ مكناسة ومنها رجع لمرّاكش وفي العيد قدم على السلطان عبد الله قوّاد العبيد ومعهم جماعة من قروان وجماعة من بني ادراسن مع محمّد و عزيز فعيّدوا معه ولمّا واجههم اعطى لمحمّد ومن معه من بني مطير وقروان عشرين الف مثقال ولم يعط لقوّاد العبيد شيئًا ورجعوا بالحرمان وفي عام ١١٦٤ وجّه سيّدي محمّد لوالده هدية مع اصحابه فدعا له بخير واثنى عليه واعطى الوداية عشرة آلاف ريال دور وللعبيد الذين معه ثلاثة آلاف دور وحيث بلغه انّ العبيد لمّا رجعوا من عنده محرومين

توجّهوا لمرّاكش لولده سيّدي محمّد وشكوا له اهمال والده لهم وصلته للبربر اعداء الدولة وما جئناك الّا لامرين امّا ان تكون سلطانًا فنبايعك او نبايع عمّك المستضيء فقال لهم لا اكون سلطانًا ولا اسمع ذلك وجبر خواطرهم بالمال اعطاه لهم وكتب لهم كتابًا لوالده يستعطفه ويذكر اهمال شجاعته ووجّه معهم بالكتاب احد خدّامه وفي عام ١١٦٥ بلغه انّ اهل تطاون قتلوا قايدهم الحاجّ محمّدًا التميمي ولمّا قدموا عليه قال لهم انتم قيّدتموه وقتلتموه فانظروا من يليق بكم فقدموا له محمّد بن الحاجّ عمر الوقّاش فقيّده عليهم وتوجّهوا معه وفي اثره قدم باشدور الاصبنيول بهاية الى ربال دور وما يناسبها من الحرير والملف والكتّان والتحف والطرف بقصد فكاك اسرى جنسه الذين عند السلطان عبد الله فقبض المال وقال للباشدور حتّى توجّهوا اسرى المسلمين الذين عندكم واعطي من ذلك المال للعبيد الذين عنده ربالتين للواحد ولنسائهم كذلك وكانوا في مايتين والفين وفي عام ١١٦٦ قدم عبيد مكناسة على السلطان عبد الله مع رسول ولده بكتابه فاعطاهم عشرين الف ربال دور وسامحهم وفي عام ١١٦٧ كانت الزلزلة العظمى التي هدمت مكناسة وزرهونًا ومات فيها خلق كثير بالردم وفي عام ١١٦٨ قام اهل فاس لشراء الخيل فاكثروا منها وكانوا يخرجون كلّ يوم يتعلّمون الركض والفروسية ويلعبون البارود بباب الفتوح يرمون بذلك انّ الوداية الذين يقصدونهم بركوب الخيل وفي عام ١١٦٩ قدم على السلطان قوّاد العبيد من مكناسة ولمّا اجتمعوا به قالوا له لا نتوجّه من عندك الّا اذا صاحبتنا لدار الملك قال لهم كيف اسير معكم وفي وسطكم فلان وفلان في جماعة من عظمائهم لا يكون هذا ولمّا رجعوا لمحلّتهم وجنّ الليل قاموا لقتل من ذكر لهم وسمّاهم فقتلوهم ولمّا اصبح توجّهوا له برؤوسهم منهم القايد محمّد السلوي والقايد زغبول والقايد سليمان بن العسري في اخرين من امثالهم ولمّا وقفوا امامه رفعوا له الرؤوس وسمّوهم له

فقال الآن طاب العيش فامر لهم باربعين قنطارًا وقال لهم اذا فرغت من عملي اقدم عليكم ووجّههم وفي هذا العام قدم على السلطان عبد الله اخوه مولاي عليّ المخلوع الذي كان عند الاحلاف فاعطاه مالًا وحوائج قوّمت بعشرة آلاف مثقال وخيّره بين سكنى مكناسة وسجلماسة فاختار مكناسة فوجّهه لها واعطاه امكاسها وبلاد المخزن التي بها ولمّا نزل المطر اشتغل الناس بالحرث ولمّا اكملها قبض عليه العبيد ووجّهوه للسلطان وقالوا هذا افسد علينا بلدنا فسرّحه ووجّهه لسجلماسة وفيه قدم على السلطان عبد الله القايد محمّد الوقّاش بهدية عظيمة فيها مائة الف ريال دورو وسلع ونصارى غنمهم غلايطه فاكرمه واعطاه جاريتين ووجّهه وفيه اغار البربر على الوداية ونهبوا جميع ماشيتهم وافسدوا زرعهم وفيه مات كبير البربر محمّد و عزيز وقام بنو مطير ومن في حلفهم لحرب قروان فنزلوا محلّتهم بدار دبيبغ واستحرموا بالسلطان عبد الله فواجه الوداية وحالفهم معهم وامرهم باعانتهم وباعوا جميع ماشيتهم وتوجّهوا لحرب ايت ادراسن ولمّا وقع القتال هزموا ونهبوا حللهم وقتلوا منهم نحو الخمساية نفس وشرّدوهم لبلاد الشراقة فنزلوها وهذا سبب حلف الوداية مع قروان على يد مولاي عبد الله وذلك عام ١١٧٠ وامّا المستضيء فانّه لمّا نزل صفرو وجّه لايت يوسيّ فلمّا قدموا عنده طلب نصرتهم فقالوا له تكلّم مع قروان وبني مطير ونحن تبع لهم وحيث لم يتّجه له عمل وجّه في حمل عياله وقشّه من فاس ولمّا قدموا عليه توجّه لسجلماسة واقام بها الى ان مات عام ثلاث وسبعين ومائة والف

الخبر عن خلافة سيّدي محمّد بن عبد الله بمرّاكش المحروسة في حياة والده

لمّا وجّهه لها عام ١١٦٩ نزل قصبتها الخربة وهي قفر ليس بها الّا قصور

السعديّة الخربة فضرب خيامه بساحتها واشتغل بحفر اساس دارك بها وبعد ان شرع في البناء منعه سفهاء الرحامنة لما كانوا عليه من العيث والفساد في اطراف المدينة وكانت تلك القصبة مجمع شرارهم فلم يقبلوا عمارتها وبلغهم ما وقع للسلطان عبد الله مع البربر والعبيد وفراره لفاس فاطردوا سيّدي محمّدًا من مرّاكش وتوجّه لنواحي اسفي فاعترضه عبدة واحمر واحترموه واكرموه ولعبوا عليه البارود وابلغوه لاسفي فنزل قصبته وقدّموا له الهدايا ودفع اعيانهم اولادهم لخدمته وقدّم له اهل اسفي هديتهم وكذلك تجّار النصارى واهل الذمّة وسرّح المرسى للوسق ولمّا بلغ خبر طرد الرحامنة لسيّدي محمّد من مرّاكش سوّلت لاهل الرباط وسلا انفسهم مثلها فقاموا الى خليفته مولاي احمد وحصروه بالقصبة مع العبيد الذين كانوا ابالة من عهد السلطان اسماعيل وحاربوهم وقطعوا عنهم الميرة والماء الى ان طلبوا الامان فخرج مولاي احمد وتوجّه لاخيه باسفي وفرّق اهل الرباط عبيد السلطان بالمدينة حتّى لا تبقى لهم شوكة ولمّا كثرت الخيرات على سيّدي محمّد بمرسى اسفي استركب الرجال من عبدة واحمر واستلحق الموالي من غيرهم وجاءه اهل حاحة والشياظمة بهداياهم ودخلوا في حكمه فلمّا سمع بذلك الرحامنة ندموا على ما فعلوا واجتمع اعيانهم وتوجّهوا لاسفي بهديتهم ولمّا اجتمعوا بسيّدي محمّد اعتذروا وتنصّلوا ونسبوا ذلك للسفهاء فسامحهم وعفا عنهم فاقسموا له بالله لا نتوجّه من بابك الّا معك ولو اقمنا سنة فيها وسعه الّا اجابتهم وامر بتجهيز محلّتهم فخرج معه عبدة واحمر بالف فارس وكان اجتمع له من اتباعه وخدّامه خمسماية فارس وتوجّه لمرّاكش ولمّا بلغها نزل بقصبتها وقدم عليه اهل مرّاكش بهديتهم ووفود الدير والسوس ونافس الرحامنة وعبدة ودفعوا اولادهم لخدمته فاستركب منهم ومن قبايل الحوز وقصده عبيد دكّالة الذين كانوا بسلا منذ خرجوا من مشرع الرمل فانزلهم بالقصبة وبنوا نوايلهم بها

وفصده العبيد من مكناسة افراداً وازواجاً فاستعملهم في خدمة داره وبنى سور القصبة الذي ثلم وبنى المسجد بجوار داره ولمّا اكمل سور القصبة افردها عن المدينة وركّب ابوابها واستمرّ في البناء والغرس واستركاب الرجال الى ان كان في عسكره اربعة آلاف من الخيل ومن الرجال واجتمع عنده من العبيد الف وخمساية فعيّن لهم قوّادهم ورتّب لهم امور دولته واعطى العبيد ما يبنون به دورهم واسقط النوايل وبنى لهم المساجد في القصبة واصلح مسجد المنصور بها وبنى المسجد الاعظم ببديعة [1] ومدرسات وحمّامات وكان اوّل حركته للسوس عام ١١٦٩ ومهّده وولّى عليه ورجع وفي عام ١١٧٠ توجّه لحاحة بسبب الطالب الصالح المستولى على اقديم المستبدّ بمال مرساه ولمّا بلغ اقدير فبض عليه واخذ ماله وسجنه فذبح [2] في السجن ولمّا رجع توجّه لحركة تامسنة لفساد الشاوية وعيثهم في الطرفات فنهبهم وقتل منهم ووجّه من فبض منهم في السلاسل بسجن مرّاكش وتوجّه لسلا فنزل على الرباط فخرج له اهله بهداياهم وعبد الحقّ فنّيش امير سلا اغلق ابواب مدينته فقطع سيّدي محمّد الوادي على الجاز واعرض عن سلا وتوجّه للقصر وفيه قدم عليه عبيد مكناسة مع كبيرهم الباشا الزياني فباتوا معه ومن الغد ارتحل ولمّا بلغ الطايشة ووقف بها نادى قوّاد العبيد فلمّا وقفوا امامه فتل الباشا الزيانيّ والقايد يوسف السلّاح وولّى عليهم الباشا سعيد بن العيّاشيّ وردّهم لمكناسة وقال لهم سيروا لسيّدي وسيّدكم انّما انا خديمه وتوجّه لتطاون ولسبتة فعبر بها ومنها لطنجة ثمّ للعرايش ثمّ لسلا ثمّ لمرّاكش واستمرّ الحال على ذلك الى صفر عام ١١٧١ فبلغه خبر موت والده السلطان عبد الله ودفن بقبور الاشراف رحمه الله تعالى

[1] B ببدية.

[2] B ajoute نبيسه.

دولة السلطان سيدي محمد بن عبد الله بن اسماعيل

وهو والد مولانا سليمان رحمهما الله ولما بلغ خبر موت السلطان عبد الله بايع اهل مراكش سيدي محمدا وقدمت عليه وفود قبايل العرب اهل الحوز وقبايل الدير وقبايل حاحة وقبايل السوس بهداياهم وبيعتهم ثم قدم عليه اهل الثغور والجبال ثم قدم عليه اهل فاس وعلماؤهم واشرافهم والوداية والعبيد واهل مكناسة وقبايل الغرب من العرب والبربر ولم يختلف عن بيعته احد فاجاز الوفود واعطى للعبيد والوداية خيلا وسلاحا كثيرا وكسوة ووجههم فلما فرغ من امر الوفود تجهز للحركة للغرب ووجه للقبايل فقدموا عليه وخرج من مراكش الى ان بلغ مكناسة ودخل دار الملك وفرق الاموال على العبيد يعني الراتب ووصل الاشراف والفقهاء والطلبة وتوجه لفاس فخرج لملاقاته اهل فاس والوداية واهل الحوز وضربت عساكرهم بالصفصافة ومحلته في وسطها ولما كان يوم الجمعة توجه لصلاة الجمعة لفاس الجديد وملات عساكرهم تلك البسايط ولم يبق احد بالمدينة فاختلط بالناس فكانوا يقبلون اثوابه ولا يمنعهم مانع الى ان وصل وجلس مع العلماء وسال عنهم واحدا واحدا الى ان عرفهم ولما خرج من المسجد وقف على ضريح والده فزاره واخرج الصدقات وامر بترتيب القراءة عليه صباحا ومساء ودخل دار الامارة فوقف على من بها من اخوانه وعزاهن وخرج لمحلته فبات بها ومن الغد ركب لدار دبيبغ فوقف على متخلف والده من مال وسلاح وفرش وخيل وسروج الى ان شاهد ذلك ووعاه وعرف مقداره وتركه وكان المال على يد وصيفه القايد علال بن سعود وغيره على يد القايد[1] بربه والجميع الى نظر حاجبه القايد عبد الوهاب اليموري ولما

[1] B. بيد القايدين; d'après cette lecture il faudrait mettre le mot précédent au pluriel et lire القياد.

استراح امر بحمل مال والده ومتخلّفه الى محلّته ودفعه لمن عينه من خدّامه واعطى اصحاب والده مالًا افتسموه واوصى اصحابه بالتوقير لهم والرعي الجميل وانتظموا في خدمته فمن ظهرت نجابته قرّبه وادناه منه ومن لا عبرة به اهمله واقصاه وترك عمّال القبايل وقوّاد العبيد وقياد المدن كلًّا في محلّه لم يعزل احدًا منهم الّا ما كان من قايد تطاون الوقّاش فانّه هرب لضريح مولانا عبد السلام بعياله خوفًا على نفسه لسوء ما تقدّم وقدم اهل تطاون ولّى عليهم كاتبه عبد الكريم بن زاكور كان ولّاه بالعرايش لكونه حضريًّا مثلهم ووجّه للعرايش غيره وولّى على فاس الحاجّ محمّدًا الصفّار احد الثلاثة الذين كانوا ولاة عليهم ايّام الفترة واقام بفاس شهرين الى ان رتّب احوال المغرب وسدّ ثغوره ورتّب حاميته وتوجّه لمكناسة ومنها توجّه لناحية غمارة بسبب المرابط الغربيّ اي الصكور الخرسيّ فانّه كان له صيت كبير بتلك القبايل وكان يقول للناس هذا السلطان لا يطول ملكه فقتله ووجّه راسه لفاس وولّى على تلك القبايل الباشا العيّاشيّ وانزله بشفشاون وتوجّه لتطاون فامر ببناء البرج بها والدار على مرسى مرتيل وتوجّه لسبتة فوقف عليها وتاملها وشاهد حصانتها وان لا مطمع للعاقل في قصدها وامر العساكر باخراج الناروق من البارود فاخرج عليهم الكفّار ناروقًا من المدافع بالكور اهتزّت له الجبال وسار السلطان لطنجة فاعترضه اهل الريف بقضّهم وقضيضهم مع قايدهم عبد الصادق ابن الباشا احمد فاكرمهم واعطاهم مالًا وكسوة وامر عبد الصادق بانشاء القلايط بمرتيل فوجّه اخاه عبد الهادي للوقوف عليها ثمّ توجّه للعرايش فنزل بها فوجدها خالية ليس بها الّا نحو المايتين من اهل الريف تحت كنف قوّاد الغرب الحبيب والسفيانيّ فوجّه لها ادالة من عبيد مكناسة ومن عبيد المهدية وقدّم عليهم عبد السلام ولد عليّ و عدّي واعطى المايتين من اهل الريف السلاح والكسوة وتوجّه لسلا فنزل بظاهر الرباط وامر عبد

لحق فنيش ببناء صقالة بسلا على البحر وعلج مرتيل ببناء صقالة الرباط وقيّد على اهل الرباط الرئيس العربي المستيري[1] وامر بانشاء مركبين واحدًا بسلا وواحدًا بالرباط وكان عندهم مركب كبير انشاه اهل العدوتين مشتركًا بينهما ايّام الفترة ووجّه لاسفي لتجّار النصارى ياتون باقامة المراكب من مدافع ومخاطف وصواري وانفلات وقلع وحبال وطوابى وبنانب وما لا بدّ منه للسفر اي سفر السفن والمراكب وتوجّه لمراكش وردّ العبيد والودايه الذين كانوا معه لبلادهم وامر بنقل عبيد الملوفية[2] لاخوانهم بمكناسة ودخل مرّاكش اخر المحرّم من عام ١١٧٢ ولمّا كان بمرّاكش قدم عليه بنو ادراسن شاكين من فروان انّهم اخرجوهم من البلاد واعانهم الودايه فكتب لهم لوالي مكناسة ان ينزلهم بحوزها ويواخي بينهم وبين ابن محور ويكون معهم على كلمة واحدة وان يشدّ هو عضدهم اذ هم شيعته وشيعة والده فعقد لهم الوالي الحلو مع ابن محّور وكلّهم لنظر الخليفة بمكناسة الحاجّ عليّ السلاوي انقله لها من تادلة وحيث لم ينته فروان عن ابن ادراسن وقصدوهم بالحرب اخبر السلطان خليفته بمكناسة بالواقع وان الودايه ساعدوهم ووافقوهم على حربهم فامره ان يخرج بالعبيد لنصرتهم وخرج الودايه من فاس لاعانة فروان ونزلوا بحلّة فروان باصبوفن وقصدوا بني ادراسن فكان اللقاء على وادي بسلن[3] فنصر الله ابن ادراسن عليهم وقتلوا منهم نحو الخمسماية ونهبوا حلّتهم وحلّة الودايه التي معهم وقطعوا روس اعيان الودايه فعلّقت بباب الجديد بمكناسة وبلغ خبر الوقعة للسلطان فغضب على الودايه واضمر المكر بهم وفي عام ١١٧٣ عزل السلطان القاضي بمرّاكش السيّد عبد العزيز ابي عبديّ عن قضائها وسجنه

[1] B المستديري.
[2] B الملوينة.
[3] B وسيل.

وبلّسه واخذ حواصله واجنّته والسبب في ذلك انّ هذا القاضي كان جهلا فوقيّ الشكية لا يقيم لعلماء وقته ومن معه منهم بحضرته وزنًا ولا يقدر احد منهم على ردّ احكامه ولو خالف النصّ والمشهور الى ان وجّه امير المومنين يومًا في قضية بلغته امر احد كتّابه يقف على فصلها ويحضر مع القاضي العلماء الذين سمّاهم من جملتهم العلّامة الشريف مولاي عبد الله بن ادريس المجهب[1] كان انقله امير المومنين لمرّاكش وجعله مدرّسًا وامامًا وخطيبًا بمسجد المواسين وامر ان يكون الاجتماع عنده بمسجد المواسين ولمّا جلسوا للحكم وجلس الخصمان تصدّر القاضي على عادته ولم يستشرهم ولم يبال باحدهم وحكم له بما ظهر له فقال له مولاي عبد الله المذكور يا عبد العزيز اسمع منّي قاض بذر ممكّن وعالم بذر غير ممكّن وجه الحكم في النازلة غير ما حكمت به وخلاف ما ذكرت وهو كذا وكذا وذكر نصوصه ورتّب فروعه وقال للشهود اشهدوا عليّ بهذا فبهت القاضي وخاف الفقهاء على الشريف المتكلّم من حصول اذاية القاضي وقاموا وبلغ اميرَ المومنين ما وقع في المجلس وما اشتمل عليه من الحكم فنفّذ حكم الشريف واكرمه وعزل القاضي وبلّسه واعطى جنان القاضي مولاي عبد الله بن ادريس فلم يقبله وكتب له يقول له امّا ما فعله امير المومنين من حيازة ماله فعين الصواب وحيازته لبيت المال فهو موافق لنصوص اهل العلم كما في ابن سلمون والحطّاب وغيرهما وامّا الجنان فعبد الله غريب الدار يكفيه جامع المواسين وبعد مدّة توجّه القاضي للحجّ واعانه امير المومنين بالف ريال دور لمّا طلبه ان يسرّحه للحجّ وبعد رجوعه ولّاه القضاء وشركه مع غيره كعبد العزيز ابن حمزة وابن الحطّاب وابي بكر الشنقيطيّ وغيرهم ولم يرجع الى حالة الاوّل الى ان مات رحمه الله وتداوله جماعة من فقهاء مرّاكش ولمّا قدم

[1] B المتجرة.

الغرب عزل القاضي عبد القادر بن¹ خريص وولّى يوسف ابا عنان في قضية مثل هذا واما قضاة المدن والقبايل والقرى فكان في كل سنة يعزل واحدًا منهم الى ان اجتمع ببابه نحو العشرين وتجهّز للحركة للغرب وخرج من مرّاكش في صفر عام ١١٧٤ ولمّا بلغ مكناسة وجّه الوداية جماعة من عجايزهم للشفاعة عند السلطان فلقينه بسايس ولمّا وقفن بين يديه تشفّعن له بالرحم وبكين وتملّقن امامه فامر بركوبهنّ و اعطاهنّ دراهم وردّهنّ ونزل بالصفصافة وخرج لملاقاته اهل فاس والوداية فاظهر لهم البشرى ولم يعاتبهم بشيء ومن الغد اخرج اهل فاس طعام الضيافة على العادة وامر ان يعمّر المشور بدار دبيبغ بجماعة العساكر والقبايل ودفعوا له هداياهم وامر بدخول الطعام لدار دبيبغ وامر العبيد والوداية ان يدخلوا لاكل الطعام فلمّا دخلوا دخل على اثارهم واغلق الباب وامر بالقبض عليهم فقُبضوا وكتفوا واجمعهم على ظهورهم للذبح ثمّ عطفته عليهم الرحم فعفى عنهم ولمّا اكل الناس الطعام امر العساكر بالغارة على حللهم بلمطة فلم تغرب الشمس الّا ان نهبوها ولم يبق لها اثر واغلق من بقي منهم بفاس الجديد ابواب المدينة وركبوا فوق الاسوار وفي الليل فرّ من بقي منهم بعضهم لفاس استحرموا وبعضهم فرّ لزاوية اليوسيّ فاستحرموا بها ولمّا اصبح نادوا من فوق الاسوار يطلبون الامان ليخرجوا فامّنهم السلطان واخرجوا اولادهم لفاس السفلى وانزل السلطان بفاس العليا الفًا من عبيده انقلوا اولادهم من مكناسة لها وقدّم عليهم علّال بن سعود وسرّح القايد قدّور بن الخضر مع اربعة من اهل الصلاح منهم وامرهم ان يزمّوا له اهل الفساد فزمّوا له خمسين من اشرارهم وطغاتهم من اهل الفساد منهم وامر ان يجعل عليهم السلاسل وقرنهم اثنين في السلسلة واركبهم اثنين

¹ B يو.

على الجل ووجّههم لسجن بمرّاكش حتّى يراهم من مرّ بهم من القبايل وامر فدّور بن الخضر ان يسرّح الباقين وكانوا اربعماية ويزيد عليهم ستّماية ويكونون القّا ويطرد الباقين لقبايلهم فزمّم القّا في دفتر وفيّد عليهم وامرهم ان ينزلوا مكناسة يسكنون بالدروى كانّه قصبة مستقلّة ونجي عليهم الاحكام ويودّبهم فانقلهم من فاس لمكناسة ودخلوا الاروى بنوا بها نوايلهم ونزل قايدهم فدّور بن الخضر بدار صاحب الاروى ايّام السلطان اسماعيل ودفع لهم السلطان السلاح والكسوة والخيل ولم يسال عمّا كان عندهم فصلحت احوالهم بعد ذلك ثمّ فرّق سهامه للامراء الذين لم يقلعوا عن الظلم واستمرّوا على فعلهم ايّام الفترة مع والده فقبض على قايد اهل الغرب الباشا الحبيب واودعه المطبق ووجّه من اتى بمتاعه ومواشيه وهدم داره وانقل انقاضها للعرايش بنيت بها ولمّا سجن امتنع من الاكل والشرب الى ان مات نعوذ بالله من سوء الخاتمة ثمّ قبض على قايد سلا عبد الحقّ فنيش الذي كان اغلق بابه دونه ايّام خلافته ولمّا ولّاه الله امر المسلمين لم يعاتبه بشيء من سوء فعله وابقاه على رياسته فلم يقلع عن ظلمه وقتل رجلًا من اعيان اهل سلا ظلمًا ولمّا رفع خبره اولياؤه للسلطان امرهم بقتله فعجزوا عن ذلك فامر اعوانه فقتلوه بايدي الفؤس ووجّه من حاز امواله وباع املاكه واملاك اخوانه بسلا وانقلهم منها فسجنوا بالعرايش وبعد مدّة عطف عليهم وسرّحهم وفرّقهم في ثغور السواحل بعضهم بطنجة وبعضهم بالعرايش وبعضهم بالرباط وبعضهم بمرّاكش والصويرة واعطاهم الدور المعتبرة والرباع المستغلّة والرواتب العظيمة وبلغوا من العزّ والجاه في دولته ما لم يكن لاحد من سلفهم ولا غيرهم طول ايّامه وكانوا رؤساء على الطبجيّة وقايدهم آلة الحرب من المدافع والمهارز والبارود وغيره في جميع الثغور ثمّ عزل قايد تامسنة ولد الجاطيّة وقايد تادلة الراضي الوردبغيّ وولّى على تامسنة وتادلة وزيره سيّدي محمّد بن حمّ الدكّالي الذي

ولّاه علي دكّالة لمّا قبض عاملها العروصيّ واودعه السجن مدّة اعوام ولمّا سرّحه ولّاه مدينة شفشاون واعمالها وارهف حدّه للعمّال المشتغلين بجمع المال فصلحت بذلك احوال الرعايا والجند لمّا ولّى في المناصب اهل الكفاءة ولمّا فرغ من عمله رجع السلطان لمرّاكش ولمّا كان عام ١١٧٦ اغار في طريقه علي اشقرن بقرب تادلة ونهبهم وقتل وسبى وتوجّه لاهل الغلدة من الشاوية فاخذهم وقتل وقبض كثيرًا منهم ووجّههم في السلاسل لمرّاكش ولمّا كان عام ١١٧٧ رجع للغرب بقصد الحياينة لفسادهم فلمّا بلغ فاس اغارت العساكر علي بني اسكاتوا وبني سادن فنهبوهم وزاد للحياينة فنهب اموالهم وهربوا لجبل غيّاثة فتبعهم علي طريق تازة ودخلت عليهم العساكر الي ان اوقعوا بهم ببلاد غيّاثة وطلبوا الامان فامّنهم ورجع لبلادهم فانتسفها وعيّد بها ورجع لفاس فخلّى بها ابن عمّه ادريس بن المنتصر واعطاه قبايل الجبل ولمّا بلغ مكناسة قبض علي اولاد عديل وسجنهم في مال كان لابيه عليهم وبعضه اعطاه لهم هو وامر بتحبيس الكتب الاسماعيلية علي مساجد المغرب كلّها وكانت اثني عشر الف مجلّد وازيد ولمّا بلغ مرّاكش قدم عليه اعيان مسفيوة مائة وخمسين فارسًا فقتلهم كلّهم وامر المحلّة بنهب بلادهم فنهبوها وكانوا غاية الضلال لم تكن لغيرهم من يوم خلّفه ابوه بمرّاكش وهو يعالج داءهم ولم ينفع فيه ترياق وخرج من مرّاكش لمكناسة واغار علي ايت سين[1] من زمّور فنهب حللهم ومواشيهم وبدّد شملهم ولمّا بلغ مكناسة امر القبايل بدفع الزكاة والعشور احواز فاس يدفعون بمرسها واحواز مكناسة يدفعون بمرسها واقام بفاس الي ان دخل فصل الربيع فخرج لحركة مرموشة فنهب حللهم ومواشيهم وهدم قصورهم وقتل منهم عددًا كثيرًا بعد ان هزموا من حاربهم من الرعايا فتقدّم لهم بنفسه وعبيده وبدّد شملهم وتوجّه لتازة فاصلح احوالها ونواحيها ورجع

[1] B سيبن ou سبين.

لمكناسة وفي هذه الحركة مات قايد القوّاد سيّدي محمّد بن حمّ الدكّالي ودفن بضريح ابي بكر بن العربي وولّى مكانه ابن عمّه محمّد بن احمد وفي عام ١١٧٧ امر السلطان ببناء ضريح سيّدي عليّ بن حرزهم وفيه قام احمد الخضر بالصحراء واوقدها فتنة ونارًا لكثرة حروبه بها وكان يزعم انّه مولاي عبد الملك الميّت ثمّ زعم انّه داعيته فوجّه السلطان لعرب تلك الناحية فقتلوه ووجّهوا له راسه وفي عام ١١٧٨ عرس ابن السلطان مولاي عليّ علي ابنة عمّه مولاي احمد وعرس ابن اخيه سيّدي محمّد بن احمد علي ابنة السلطان وكان عرسًا عظيمًا حضره عامّة الناس من اهل المغرب بهداياهم ولمّا فرغ السلطان منه توجّه لمرسي الصويرة فاسّس مدينتها ورسم لهم شكلها وكيفيّة وضعها وترك الخدمة بها ورجع وفي رجوعه توجّه لزيارة الرهان والتزمه علي ولد النفسيس واقام يتقلّب تلك البسايط مدّة ومعه جماعة من الفقهاء والكتّاب ومنها وقعت هدية قاضي الرهان الكبش الشهير وفي قعدة العام رسي مراكب الفرنسيس علي مرسي سلا ورموها بالكور والبومبة الي ان فرّ اهلها للاجنّة باولادهم واقاموا بها ثلاثة ايّام يرمون واقلعوا وفي عام ١١٧٩ رسوا بمرسي العرايش ورموها الي ان هدموها وفرّ اهلها للبساتين ولم يبق منهم احد وعمروا قلايكهم بالعساكر ودخلوا المرسي فاحرقوا المراكب التي بها وطلعوا مع الوادي لمركب بقي منهم فاعقبهم المسلمون لباب المرسي ولمّا حاربهم اهل الساحل وبني جرفط علي المركب واطردوهم عنه ورجعوا جدّوا المسلمون في اعتراضهم من كلّ ناحية الي ان خالطوهم في القلايك عومًا وقتلوا واسروا ولم يفلت احد من ٪الاف كلّهم بين قتيل واسير الي ان توسّط فيهم طاغية ٪الاصبنيول لما وقع مع السلطان ففداهم بمال كثير وفي هذا العام قدم ولد السلطان مولاي عليّ خليفة بفاس وولّاه قبايل الجبال والريف وفيه كانت حركة السلطان لفازز والريف ومرّ علي تطاون وبلاد غمارة ودمّر تلك

القبايل كلّها الّا كبدانة ورجع على طريق تازة وفي عام ١١٨٠ قدم السلطان لمكناسة وقبض بها على عبد الصادق الريفيّ ومائة من اهل الريف وسجنهم بمكناسة وتوجّه لطنجة فنهب اموال عبد الصادق وعزبانه[1] وانتقل قبيلته واهل عصبيّته منها لسكنى المهديّة وقيّد عليهم محمّد بن عبد الملك وانزل بطنجة من العبيد الفًا وخمساية بعدد من بقي بها من اهل الريف بحيث لا يطمعون في ثورة وفي عام ١١٨١ كانت وقعة كلخ[2] الداعي الذي اغوى الناس وقال لهم ادخلكم لبيت المال تاخذون ما فيه واظهر لهم الكرامات المكذوبة ودخل بهم مرّاكش في عالم عظيم يقولون سلخ كلخ رافعين اصواتهم بها فافتتن الناس بذلك وشقّوا المدينة قاصدين القصبة فبلغ خبره للسلطان فوجّه اعوانه فقبضوا عليه وفرّ من كان معه ولمّا بلغه امر بقتله وكانت احدى الغرايب وفيه وردت هدية السلطان المصطفى العثمانيّ مع الحاجّ عبد الكريم ارغون[3] وهي مركب موسوق بالمدافع والمهارز والبومبة والكور والمراكب الفرصانية نزلوا بالعرايش وفيه مات مولاي الطّيّب صاحب وادي الزان وفي عام ١١٨٢ وجّه السلطان للحجّ ولده مولاي عليًّا ووجّه معه اخاه عبد السلام صغيرًا وزفّت معه ابنة السلطان لسلطان مكّة الشريف سرور وكان في جهازها ما يزيد على المائة الف دينار من الذهب والجواهر والاحجار ووجّه معه هدية للحرمين الشريفين لاهل الوظايف والاشراف والعلماء والنقباء ولاهل الحجاز واليمن والفقهاء بكلّ بلد ووجّه معه من وجوه اهل المغرب واولاد الامراء واشياخ القبايل وجملة من خدّامه واصحاب اشغاله بالخيول المسومة والسلاح ما تحدّث الناس به بالمشرق دهرًا وكان يوم دخولهم لمكّة مهرجانًا عظيمًا حضره اهل الموسم كلّه وفي هذا

[1] B عزبانه.
[2] B كلخي.
[3] B راغون.

العام نزل السلطان على مدينة البريجة ونصب عليها المدافع والمهارز وحضرها الحاج سليمان التركي معلّم الرمي الذي كان يعلّم الطبجيّة بالرباط ابدى فيها واعاد الى ان فتح الله على المسلمين وغنموا فيها الاموال ما استغنى به بعضهم وعمّرها السلطان باهل الدكّالة اذ هي في بلادهم وانزل معهم حصّة من عسكره وفي عام ١١٨٣ كانت حركته لتادلة لفساد اهلها واشتغالهم بالحروب فنهب اموالهم وبدّد شملهم وولّى عليهم صالحًا ولد الراضي فاستصفى اموالهم وتركهم عيّلًا لا يقدرون على الانتقال من محلّ الى اخر من قلّة الظهر وفي عام ١١٨٤ كانت حركته لقروان لعيثهم في البلاد فاوقع بهم بفريقهم وقتل منهم نحو الخمساية ونهب اموالهم وتركهم يتكفّفون بفاس ومكناسة وانقلهم لازغار في وسط العرب ومنهم توجّه لحصار مليلية فنزل عليها ونصب عليها المدافع والمهارز وحاربها في اوّل يوم من محرّم عام ١١٨٥ فكتب له طاغية الاصبنيول يعاتبه في النزول عليها ويقول له انّنا في المهادنة برًّا وبحرًا وهذا عقد الشروط الذي اتى به كاتبكم الغزّال عندنا فقال له السلطان انّنا جعلنا معكم المهادنة في البحر فقط ولو كانت في البرّ لدخلنا لكم وخرجتم الينا فكتب هذه المهادنة فوجّه الطاغية له عقد الصلح عامًّا في البرّ والبحر فكفّ عن حربها وشرط عليه ان تحمل الاقامة من مدافع ومهارز وكور وبومبة في مراكبه لما فيها من التعب على المسلمين في جرّها في البرّ فانعم بذلك وارتحل عنها وحملها الاصبنيول في مراكبه بعضها لطنجة وبعضها للصويرة وكان ذلك السبب في تاخير الغزّال عن كتابته فبقي عاطلًا الى ان كفّ بصره ومات رحمه الله وفي عام ١١٨٧ كانت حركته لابن مالوا براي ابي القاسم الزمّوريّ فخرج لها من مكناسة بجميع العساكر والقبايل الى ان نزل قصبة ادخيسان فوجد القبايل كلّها متحصّنة بالجبال وبدا ما لم تحتسب وظهر غشّ الزمّوريّ وكذبه اذ كان يغري السلطان به ويزعم انّي انا الذي افسدتهم فلمّا طلع على

حقيقة الامر رضي عنّي بعد ان كنت عنده في حين الاهمال اتوقّع الموت كلّ يوم فامرني ان نوجّه لهم فلمّا قدموا قال لهم انّي سمحت لكم في وجه كاتبي فلان وارتحل لناحيته ولمّا بلغها اصابته حمّة فاقمنا بها ستّة ايّام الى ان عافاه الله ورجع لمكناسة وكلام هذه الحركة مستوفى في تاليفنا البستان الظريف في دولة اولاد مولاي عليّ الشريف ولمّا بلغنا مكناسة نكب ابا القاسم الزمّوريّ واستصفى امواله ورفع محلّي وما قبل فيّ كلام الناس من بعد رحمه الله وفي عام ١١٨٨ عزل السلطان محمّد بن احمد الدكّاليّ عن القبايل التي كانت لنظره ولم يترك له الا اخواله[1] اهل دكّالة وامره ان يقبض منهم ما اكلوه من القبايل التي كانوا يتصرّفون عليها وقبض منهم مايتي قنطار وولّى على تلك القبايل واحدًا لكلّ قبيلة منها وفي عام ١١٨٩ كانت الفتنة العظمى بالمغرب وهي قيام عسكر العبيد على السلطان وبيعة ولده اليزيد والسبب في ذلك انّه وجّه لهم امره مع راس الفتنة القايد الشاهد منهم ووجّه معهم حاجبه القايد المختار وامره ان يتوجّه بالف من عبيده الكاينين بمكناسة فيرده عليهم لسكنى طنجة فلمّا بلغهم وقرأ المختار عليهم امر السلطان قالوا سمعنا واطعنا فقال لهم الشاهد والله لا يتوجّه معي في هذا الف الا امثالي ومن له دار كداري وجنان كجناني وارض كارضي فحاصوا منه حيصة الحمر وارادوا قتله وقتل الحاجب وهربا لضريح مولانا اسماعيل بن عليّ وقاموا للعيث فقتلوا ونهبوا وزادوا لقتل قايدهم سعيد بن العيّاشيّ وحصروه بداره فحاربهم بعبيده وخدّامه واصحابه الى ان غلبوه فهرب للحرم ونهبت داره وهدمت وبلغ خبر ذلك السلطان بمرّاكش وكان عنده ولده اليزيد فوجّهه لهم بقصد اصلاح ما فسد فلمّا بلغهم اجتمعوا عليه وبايعوه ففتح بيت المال وبيت السلاح وخزاين البارود وفرّق عليهم وخطبوه وكتبوا للقبايل ياتون اليه فامتنع محمّد و عزيز وهرب من مكناسة

[1] B اخوانه.

وجع الجوع وبعث للوداية فلم ياتوه استندوا على محمد و عزيز وانزل معهم محمد و عزيز القين من البربر وهو بمحلته بالخروبة ولما امتنع الوداية من بيعته ركب لهم في العبيد وفصدهم في الاروى وخرجوا لحربه مع ايت ادراسن وقروان الذين عندهم ووقع الحرب بالمشنه[1] فهزموه وفتلوا من العبيد نحو الاربعماية والجارح بلا عدد ومات من الوداية والبربر نحو المائة والجارح مثل ذلك وكان ذلك يوم الجمعة ويوم السبت ركب ووجّه للعبيد ليرجع لهم فامتنعوا وفالوا حتى ندفن موتانا ولما بلغ ذلك للسلطان خرج من مرّاكش في عبيده وفبايل الحوز ولما بلغ سلا فرّ اليزيد من مكناسة الى زاوية زرهون ولما فرب من مكناسة توجّه السلطان لزيارة مولانا ادريس الاكبر ولما دخل اتاه الاشراف والمرابطون بولده اليزيد فعفا عنه وسامحه ورجع لمكناسة فلفيه العبيد بالمصاحف والذرّيّة والاشراف والمرابطين فسامحهم على الخروج من مكناسة وافام بها يدبّر امرهم الى ان اخرجهم منها وفرّقهم في مراسي طنجة والعرايش والرباط وفي عام ١١٩٠ فام العبيد الذين بطنجة على فايدهم الشيخ وفايد الاحرار ابن عبد الملك وارادوا فتلهما فهربا للصلة ثم راجعوا بصايرهم وفبضوا على اصحاب الفعلة ووجّهوهم للسلطان فقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ثم كثر ضررهم بالمراسي فقدم من مرّاكش اخر العام الى ان بلغ الرباط ووجّه لهم البغال والابل وكتب لهم برزت عزيمتي برحيلكم والان صفى فلبي عليكم فهذه البغال والابل احملوا عليها اولادكم وفشّكم وارحلوا من طنجة وانزلوا بدار العربي ووجّهوا الابل والبغال لاخوانكم الذين بالعرايش يحملون اولادهم وحوائجهم وينزلون عليكم واذا نزلت بمشرع الرمل[2] أوجّه لكم بغالي كلّها تحملون اولادكم دفعة واحدة تتوجّهون لمكناسة محلّ فراركم فلمّا بلغهم

[1] B بالمنتهي.
[2] B مسعيدة.

ذلك فرحوا للرجوع الى مكناسة وارتحل اهل طنجة فنزلوا دار اعريز على فايدهم سعيد بن العيّاشي نصب لهم به ووجّهه لدار اعريز ينتظرهم وبعدهم وعينهم ووجّهوا البغال والابل لاهل العرايش فحملوا اولادهم ونزلوا عليهم وارتحل السلطان من الرباط وقصدهم في قبايل اهل الحوز وبني حسن واهل الغرب ونزل بسوق الاربعاء بقربهم ومن الغد وجّه سفيان وبني حسن وبني مالك والخلط وطليق بمحلّتهم وقال لهم انزلوا على العبيد واجعلوهم في وسط محلّتكم واقبضوا منهم الخيل والسلاح واقتسموهم كلّ واحد منكم ياخذ عبدًا وامة واولادهما العبد يحرث ويحصد والخادم تطحن وتعجن وتسقي وتحطب والولد يسرح فخذوهم بارك الله لكم فيهم فاركبوا خيلهم واحملوا سلاحهم والبسوا ثيابهم وكلوا ما عندهم فانتم عسكري ففعلوا بهم ذلك ورجع للرباط وفرّق العبيد الذين كانوا به بعضهم لمراكش وبعضهم للسوس وبعد اربعة اعوام عفا عنهم وردّهم عند العرب واعطاهم كسوة اخرى وسلاحًا وخيلًا اخرى وردّهم للجندية وفرّقهم في المراسي فصلحت احوالهم في المستقبل ورجعوا احسن ممّا كانوا عليه وبسبب فناهم الحلّ عرى الملك بالمغرب وسرى فسادهم في القبايل عربًا وعجمًا ولم ينزل المطر ووقع القحط وعظمت الجاعة من عام ١١٩٠ الى عام ١١٩٦ كلّها مجاعة الى ان اكل الناس الميتة والدم والخنزير والادمي وفني اكثر الناس من الجوع فكان السلطان يعالج هذا العسكر البخاري بتراديف الرواتب وجعل لهم المشاهرة يقبضونها كلّ شهر ورتّب لاهل المدن الخبز يفرّق على الضعفاء في كلّ جهة واسلف للقبايل الاموال فرّقها اشياخها على الضعفاء الى زمن الخصب ويردّونها ولمّا خلصت الجاعة ارادوا ردّها فقال لم اخرجها بنيّة وانّما ذكرت الردّ لئلّا ياكلها الاكابر اذا عرفوا عدم الردّ واقام السلطان يعالج امر ضعفاء المسلمين في تلك الجاعة واسقط عن القبايل ما يدفعونه من الوظايف كلّها اربعة اعوام الى ان خصبت البلاد وفي عام ١١٩٧ مضى

المغرب وحرث الناس وادرك الزرع وخصب الاسعار واشتغل السلطان بتمهيد البلاد مرّة ثانية فوجّه العساكر لاولاد ابن[1] السبع الذين عاثوا في السوس فاخرجهم منه وشرّدهم الى القفر وقبض على اعيانهم فسجنهم بمكناسة الى ان ماتوا بسجنها ثمّ نهب قبيلة زمران لسوء فعلهم وانقلهم من بلادهم الى بلاد ابن السبع بسبّدي المختار ثمّ انقل تكنة ومجاط ودوا بلال من الحوز الى الغرب وانزلهم بفاس الجديد وحوزها وكتبهم في ديوان الجند ثمّ انقل قطاية وسهكن ومجاط وناولة الى حوز مكناسة ثمّ انقل ايت يمور لتادلة ثمّ انقل فروان من الجبل لازغار وفي هذا العام وجّه ولده عبد السلام لاداء فريضة الحجّ لانّه لم يكن مدركًا حين حجّ مع اخيه على وفيه كانت وقعة الداعي الحاجّ اليموريّ الذي كان يدّعي ويزعم انّه داعية صاحب الوقت ويتكلّم بالغيب ويزعم تكوين الكاينات ويخبر عنها وشاع امره عند جهالة البربر وغيرهم وكثر فساده وفساد ايت يمور بالعيث فيمن جاورهم من قبايل العرب فقام لهم قايد سفيان الهاشميّ السفيانيّ وجمع قبايل اهل الغرب بغير امر السلطان وقصدهم في نحو العشرين الفًا من الخيل ولمّا نزل بوادي سبو وهم بسلفان[2] دنحوا عليه فلم يقبل ومن الغد وقع القتال وهم ستّماية فارس فهزموهم وقتلوا قايدهم الهاشميّ وعددًا كثيرًا من اعيانهم ونهبوا محلّتهم ولمّا قدم السلطان قبض الداعي وقتله وفي عام ١١٩٨ توجّه السلطان لحركة زمّور فدخلوا في شعاب تعراين فرجع عنهم وكلّى ايت ادراسن وفروان اذا خرجوا من الشعاب ينهبونهم فلمّا توجّه لمرّاكش وخرجوا من الشعاب اخذوهم ونهبوا ما عندهم وتركوهم يتكفّفون في القبايل وفي هذا العام وجّه ولده اليزيد للحجّ بغير ركب مع امير وشيخ يصرف عليه دفعًا لغوايله وحذرًا من مكره لانّه عزم على التوجّه لسجلماسة ولم يرد ان

[1] B ابي.
[2] B بسلفات.

يتركه من ورائه لسوء فعله فتوجّه لها وانفصل عمّه مولاي الحسن منها لمكناسة لانّه كان يحارب الاشراف ويأتي بأين عطّة واخرج ابن عطّة من قصورها وفرّق المال على الاشراف واعطاهم الكسوة ورتّب لهم في كلّ سنة مائة الف مثقال تأتيهم من عنده وانزل اولاده بها وهم مولاي سليمان واخوه الطيّب وموسى والحسن والحسين وعمرو ابن اخيه سيّدي محمّد بن احمد ورتّب لهم ما يكفيهم من العولة والكسوة والمصاريف وفي عام ١١٩٩ قدم ولده مولاي عبد السلام من الحجّ فولّاه على السوس وانزله بتارودانت وفي هذا العام وجّه ابن عمّه عبد الملك بن ادريس وكاتبَيْن محمّد بن عثمان وعمر الوزير وامير الركب ابن يحيى بهدية عظيمة لاهل الحرمَيْن الشريفين والحجاز واليمن ووجّههم في البحر في فرطان من فراطين الاصبنيول وكتب للسلطان عبد الحميد ان يوجّههم مع امير صرّته الذي يوجّهه للحرمَيْن الشريفين وهذا كلّه حذرًا من اليزيد ان يلقاهم في البرّ فينهبهم وحيث لم يطلع ركب من المغرب في البرّ اقام اليزيد بمصر حتّى للعام القابل وطلع فاتّصل بهم بمكّة بعد ان فرّقوا بالمدينة والحجاز ومكّة وبقي عندهم واجب اهل اليمن واحكاك فيها الذهب المعين بالشام ومصر والعراق فتركهم الى وقت القابلة ودخل دار ابن يحيى الذي عنده المال في احكابه فنهب ما قدر عليه وخرج وتوجّه عبد الملك ورفقاؤه الى والي مكّة فاخبروه الخبر فوجّه اعوانه له ولمّا اتوا به حتّى عليه في ردّ المال فردّ البعض وقاب[1] على الاحكاك التي فيها الذهب فانكرها ولمّا بلغ ذلك السلطان غضب عليه وتبرّأ منه وكتب دفاتر بسخطه علّقت بالمشاهد السبعة ووجّه كتابًا لسلطان مكّة السلطان سرور يعاتبه على اهماله امر اليزيد وعدم قبضه والانتقام منه ابدا فيه واعاد ووجّه كتابًا للسلطان عبد الحميد يخبره بحاله وما هو عليه من العقوق ويوصيه ان لا يقبله اذا قدم لبلاده واقام اليزيد

[1] B غاب.

بالمشرق ثلاثة اعوام ولمّا قدم لي بقدر على مواجهة والده وتوجّه لضريح مولانا عبد السلام رحمه الله فاقام به وفي عام ١٢٠٠ وجّهني السلطان للاصطنبول بهدية للسلطان عبد الحميد العثمانيّ فاقمت بالاصطنبول مائة يوم الى ان قضيت الغرض ورجعت ووجّه معي السلطان عبد الحميد احد خدّامه بهدية للسلطان وقال لي نصره الله انّما وجّهت معك هذا الخديم صورة فقط والاعتماد في مقصودنا عليك وكتب لسلطاننا كتابًا في شاني بالمدح والثناء الجميل عليّ من جملة فصوله وبعد فانّه وصلنا من مقامك الاسمى عشرون سفيرًا وأحسنهم عقلًا ونبلًا وسياسة وادبًا فلان انّه ادّى لنا رسالتك وهديتك باداب وانفصل عنّا باداب فمثله من يكون سفيرًا بين الملوك فان اقتضى نظرك توجيه سفير من الطرفك فليكن هو فانّ ظاهره وباطنه سواء وكتب الوزير يوسف باشا كتابًا مثله بزيادة ولقد سررتنا بقدوم فلان فانّه من اكمل ذي المحبّة في الدولتين فمثله عزيز الوجود فلمّا قرات الكتاب على السلطان سرّ بذلك سرورًا عظيمًا ودعا لنا بخير واثنا خيرًا ولمّا خرج للمشور امر بقراءة المكاتب في الملا وقال هكذا نحبّ الحاكي جزاك الله خيرًا وانّي لا اوجّه الهدايا للعثمانيّ الّا معك ولا اوجّه المراكب الّا مع الطاهر فنبش لحضوره في المشور جبر قلبه بذلك فرحم الله السلطانَيْن الجليلَيْن وقدّس ارواحهما في جنّته النعيم وفي عام ١٢٠١ حرّك السلطان لبلاد مرّاكش فنهبهم وعاث في بلادهم واستحرموا بضريح ابي الشتاء الخيّار فعفى عنهم ونزل على بلاد الحياينة فعاثت عساكره فيها وهربوا للجبال فنهب الزرع والقرى وتبعوهم الى ان اوقعوا بهم بجبال صنهاجة وتسول ورجع عنهم السلطان وقدموا تايبين فعفا عنهم ومن هناك ولّاني تازة واعمالها فتوجّهت لها واقمت بها سنة الى ان ورد عليه الف من ايت عطّة مع وصفان تافلالت كتبهم في ديوان الجند فوجّه لي من تازة وقدمت عليه فلمّا اتيته توجّهت بذلك الالف الى تطاون اعطيتهم

الكسوة والسلاح وتوجّهت بهم لطنجة فكانوا يركبون في البحر في الفلايك الى ان تدرّبوا على ركوب البحر وزالت عنهم دهشته ولمّا دخل فصل الشتاء قدمت بهم على السلطان لمكناسة فولّاني على تافلالت وذلك عام ١٢٠٢ فتوجّهت لها واقمت بها ثلاثة اعوام الى ان مات السلطان سيّدي محمّد رحمه الله في رجب عام ١٢٠٤ وبويع بعده ولده اليزيد غفر الله لنا وله امين

دولة السلطان اليزيد بن محمّد
بن عبد الله بن اسماعيل بن الشريف بن علي

ولمّا مات السلطان سيّدي محمّد رحمه الله كان ولده اليزيد مقيمًا بضريح مولانا عبد السلام حسبما تقدّم ولمّا بلغه الخبر بايعه الاشراف اولاد مولاي عبد السلام ثمّ العبيد الذين كانوا مرابطين عليه في الحرم ثمّ اهل الثغور تطاون وطنجة ثم انحدر الى تطاون فبايعه اهلها واطلق ايدي العساكر على اهل الذمّة فنهبوا ديارهم وحوانيتهم وجميع ما عندهم ثمّ توجّه لطنجة فقدم عليه بها وفد اهل فاس علماؤهم واشرافهم واعيانهم ببيعتهم فاجازهم واكرمهم وولّى عليهم الذيبيّ[1] ثمّ انتقل للعرايش فوافاه بها اهل محلّة والده وخدمه واصحابه باثقاله وخيله وسلاحه ومضاربه وما كان له من الاثاث فدفعوا له ذلك ثمّ انتقل من العرايش الى ان بلغ زاوية زرهون فوافاه بها اخاه سليمان قدم من تافلالت كنّا وجّهنا معه وفد الصحراء من[2] عريب وبربرها بالبيعة ولمّا بلغ اعليل استجار به محمّد و عزيز فاصحبه معه في قبايله ولمّا اجتمعوا به بضريح مولانا ادريس سامحه وعفا عنهم واقرّه على قبايله ولمّا بلغ مكناسة قدم عليه بها قبايل البربر والعرب واهل

[1] B العربي الذيب.
[2] B و.

الحواضر والبوادي وقبايل الحوز والسوس ولم يتخلّف عن بيعته احد حتّى قبايل ايت مالوا العاصين على والده قدموا بِرجالهم[1] مهاوش لانّه كان يعدّهم شيعته وقدم عليه عبيد المراسي فامرهم بالرحيل لمكناسة فقالوا له والمال الذي ببيوت الاموال والثغور كان وضعه السلطان راتبًا لنا فامرهم ان يقتسموه ولم يسال عنه كم هو وما عدده وكان نحو المليونَيْن تفرّق منه مشاهرة اربعة اعوام قبل موت السلطان وكان عدد عسكر الثغور ستّة عشر الفًا بالبحريّة والطبجيّة فاستبدّ به القوّاد والاعيان وفتح بيت المال الذي بالدار البيضاء كان فيه مليونان معلومة في الدواوين فاعطى اشراف الجبل وقبايلهم مائة الف ريال دور واعطى قبايل ايت مالوا ورجالهم مائة الف واعطى الوداية ما يحملون به اولادهم لفاس الجديد خمسين مثقالًا للواحد وخصّ افرادًا منهم بالف والفَيْن واعطى الوفود والقبايل التي قدمت عليه اموالًا عظيمة وكنّا كتبنا له على مال الاشراف والمؤونة لاخوته واخوانه عيّن ذلك في زمام وما يفضل من المال نقدم به عليه مع ذخيرة اهل الذمّة ولمّا اكملنا ما امرنا به توجّهنا لحضرته بفاس مع ولده وبتنا بدار دبيبغ بلغنا انّ ديارنا بمكناسة اعطاها للعبيد ولم يبق الا دويرة فيها عيالنا فتجلّدنا بالصبر ومن الغد اجتمعنا به بجنان ابن[2] طاعة ونزلت بداري بفاس ووجّهت البغال لحمل عيالي من مكناسة وادخلتهم دار القايد عياد وافقت مدّة وانا مهموم مهموم الى ان توجّه لمكناسة وامر القبايل والجيش بالحركة لسبتة والرباط عليها فتوجّه للعرايش ومنها لطنجة ووجّه المدافع والمهارز والالة لتطاون ومنها توجّه لسبتة فنصب عليها الة الحرب فكان عمله ضرب في حديد بارد ولمّا عوفيت خففته وافقت بسبتة فلم تحصل على طايل فوجّهني لمكناسة وفاس لقضاء بعض اغراضه فلم اشعر

[1] B برجالهم.
[2] B بو.

الّا بالغنيميّ قايده بفاس الجديد الثاني وقبض عليّ وعلي الحكماويّ كان وجّهه ايضًا لغرض وسجننا بفاس الجديد ونهب دورنا واقمنا بالسجن الى ان ورد لمكناسة فوجّه لنا ولمّا قابلناه بمكناسة وجّهنا لسجنها بالقصبة ومعنا عمر الوزير المرّاكشيّ ولمّا توجّه لفاس دفعنا لمحمّد و عزيز للمدينة ولسجن المدينة فاقمنا به اربعين يومًا ولمّا وجّه ولده ابراهيم مع اهل الحوز خليفة بمرّاكش امر بتسريحنا وكتب كتابًا يقول فيه انّي اعرف حزمك وضبطك لمّا كنت واليًا بالعرايش وها انا ولّيتك بثغر اقدير فتوجّه مع ولدنا ابراهيم الى ان يبلغ الصويرة ومنها تتوجّه لاقدير وهو يتوجّه لمرّاكش والحكماويّ يكون كاتبًا مع ولدنا هو والورديّ[1] فتوجّهنا ولحقنا ابراهيم بطنجة ولمّا خرج منها تقدّمت امامه للعرايش فرارًا من السفر مع المحلّة واقمت بها يومًا ولمّا بلغ توجّهنا للرباط واقمت به يومًا ولمّا بلغ تقدّمت للدار البيضاء فورد عليه بالرباط مكاتب والده يقول انّك غير عارف بالاحكام والسياسة وكاتبنا ابو القاسم الزيانيّ يتوجّه معك لمرّاكش ولا تقطع امرًا الّا عن مشورته وعن رايه فلا يتوجّه لاقدير وكتاب مثله لي فلمّا قرا المكاتب سال عنّي فقيل له تقدّم فوجّه من لحقني بالدار البيضاء فانتظرته فلمّا قدم دخلت اليه فاخرج لي المكاتب فلمّا قراتها سقطت في يدي وقلت كيف لي وما عملي مع ولد صغير لا يردّه عن لهوه وشهواته احد وكيف الخلاص من هذه المصيبة العظمى لا اسلم من الجانبين ففوّضت امري الى الله وتوجّهت لمحلّي وكان هو في قبّته مع احداث امثاله فاذا وجّه لي اتيته ولمّا نزلنا دكّالة عليّ واليها قاسم ابي حلّومة اقام عنده بوصيّة والده الى ان يقبض عمله فكان لا يقطع امرًا دوني وكان معه العبّاس بن عمران قايد مشورة وقوّاده مع اهل الحوز يشيرون عليه ولا يعمل الّا ما اقول له فوجدته اعقل من والده ولمّا بلغنا مرّاكش اقمنا بها شهرًا وورد عليه

[1] B المزوردي.

الامر بتوجيهه لنا والحكماوي ولمّا بلغنا الرباط ردّني لسبتة بمكاتب لقايده
المرابط عليها بالحلّة ومنها انوجّه لفاس لقضاء بعض اغراضه والحقه بها
لمرّاكش وتوجّه هو لمرّاكش فبلغ الدار البيضاء فبدا له في الرجوع وأقدمُ
عليه لسبتة فتوجّهنا ولمّا بلغناه لتطاون وجّهني لعبيده واهل دكّالة
واهل مرّاكش واهل الحوز نستفزّهم للجهاد كان وجّه لهم المرّة بعد المرّة فلم
ياتوا وحاصوا منه حيصة الحمر وكلّ من ياتي من عنده يقبضونه واتّفق
رايهم جميعًا على بيعة هشام واصفقوا عليها ولما بلغت دكّالة وجدتهم
منحرفين عنه ولم يقروا كتابه ثمّ توجّهت لآسفي ولمّا اجتمعت بعبد
الرحمان بن ناصر في موكبه بالقصبة وسلّمت عليه ودفعت له المكاتب قال
من اين هذا الكتاب قلت من السلطان اليزيد فسبّوه وسبّوني معه وقاموا
للقتل بي فاجارني منهم وقال كاتب سيّدنا الكبير واخونا لا يرى منّا
مكروهًا فبتّ عنده ومن الغد وجّه معي من يحرسني في الطريق الى مرّاكش
ولمّا دخلتها وجدت الخليفة بها سيّدي عبّاس بن احمد بجلس بدار الاحكام
الى المغرب ويدخل ضريح ابي العبّاس خوفًا على نفسه فجمعت اهل مرّاكش
وقرات عليهم الكتاب فقالوا سمعنا واطعنا فاصبر علينا حتّى ننظر مآل
الامر ولمّا اخبرت انّ هشامًا يدخل مرّاكش غدًا خرجت هاربًا اسير الليل
والنهار والبلاد خالية لا انيس بها الى ان قطعت وادي امّ الربيع وحينئذ
امنت على نفسي ونزلت فاكلت وشربت وتوجّهت الى ان بلغت المنصوريّة
فاخبرت انّ الرباط محصور لا يدخله احد ولا يخرج منه احد وازعيم
نهبوا مواشيهم وبهايمهم فاقمت بالمنصوريّة الى الليل وخرجت مخاطرًا
بنفسي فاصبحت بالباب فنظر اليّ العسّاسون وعرّفتهم بنفسي فتوجّهوا
الى الحاكم فذكروني له فامرهم بفتح الباب فدخلت واغلقوا الباب ولمّا
اجتمعت بالحاكم واهل الرباط تعجّبوا من سلامتي وامري وقالوا هذه سبعة
ايّام لم يدخلها علينا احد واقمت بالرباط الى ان استرحت وتوجّهت له ولمّا

بلغت القصر اخبروني انّه رجع من سبتة وفي هذا اليوم يبيت بالعرايش فبتّ ومن الغد توجّهت ولمّا بلغت المدينة قيل لي انّه بالصفالة فزدت الى ان نزلت ببابها وسلّم علينا اصحابه ولمّا ركب وخرج وجدني واقفًا فقال من اين اتى هذا الشيطان فقال له ابن الزناق[1] من الحوز فقال خذوه فانّه الذي افسد الحوز فقبضت واجتمع عليّ الحرس بالضرب نحو الخمسين عصاة الى ان غبت وغرى عليّ فامر ان يتنحّوا عنّي فتنحّوا واخرج كابوسه وانا ساقط في الارض فنجش وتعطّل وغضب وقال احملوه الى السجن فحملوني له ولم افق من غشيتي الّا بعد ثلاثة ايّام فوجدت الحديد على رجلي والسلسلة في عنقي ويدي مكسورة واصابعي كذلك وراسي كذلك فكان بعض الاحبّة ياتيني ليلًا بطبيب يعالج يدي وراسي وجراحاتي وتوجّه هو للرباط ولمّا بلغ المهديّة سال عنّي هل متّ فقالوا لا فوجّه لي عشرة من الخيل ياتون بي فحملوني على بهيمة وساروا بي الى ان وضعوني امامه بمشورة فقال هذا ساحر شيطان فلم يردّ احد جوابًا من الحاضرين وكلّ الناس كرهوا فعله وكان هناك شريف فقيه مدنيّ فتقدّم اليه وقال له يا مولاي سالتك بالله الّا ما عفوت عنه فانّه من اهل العلم فقال له اذهب الى بلادك لئلّا يصدق عليك قوله صلّى الله عليه وسلّم المدينة تنفي خبيثها واطردوه واطرح من امامه وامر ان يتوجّه بي للسجن ولمّا خرج عند الصبح وضع مكحلتين بجنبه في العلى المشرف على المشور وامر الزبانية ان ياتوا بي وقال جرّدوه والبسوه جلّابة واتوا به فبلّغوني للسجن واتوا بالجلّابة ونزعوا ثيابي والبسوني ايّاها في دجنبر الاصمّ والمطر ينزل ولمّا توجّهوا لياتوا ببهيمة اركبها من السوق لم يجدوها فتوجّهوا للحاكم فوجّه للجمّالين فما حضرت البهيمة الّا بعد ساعتين واركبوني وخرج الاولاد من المكاتب بالواحهم يطلبون الله لي وكان اهل الرباط في نكد عظيم من اجلي ولمّا

[1] B الزنقي.

بلغنا المشور وجدوه نزل من موضعه الذي كان ينتظرني فيه حين ابطأوا في فكان ذلك سبب خلاصي منه فوضعوني في وسط المشور فلما خرج وانا في المطر والبرد والطلبة في ضريح مولانا السلطان يدعون ويتضرّعون واهل الدولة احرارًا وعبيدًا يبكون لحالي ورغبوا عبيد الدار فاخبروه بحالي فامر بردّي الى السجن فلمّا بلغته دخل عليّ بعض الاحبّة من الرؤساء بما البسه وبجمر من الفحم لانّي لم اقدر على الكلام ممّا لحقني من البرد وبعد ثلاثة ايّام سافر لمرّاكش ودخلها واوقع فتنة عظيمة وقتل وسجن واحرق العبّاس بن عمران اخرجه من القبر من ضريح الشيخ الغزوانيّ وقتل القاضي والوالي هاشم بن عمران وجماعة من اعيان مرّاكش وكان بها حادث عظيم وبعد ايّام نزل هشام وعبدة واهل دكّالة بوادي تانسيفت فخرج لهم بالعساكر والمدافع ولمّا وقع الحرب اخرج فيهم المدافع فشتّت جمعهم وانهزموا فتبعهم فضربه رجلان من رماة احد برصاصتيْن اصابته واحدة في فخذه شواه بها فرجع ونهبت محلّته اهل دكّالة وعبدة ودخل داره يعالج جرحه فمات منه في جمادى الاخرة عام ١٢٠٦ ولمّا بلغ خبر موته للرباط اخرجني الرؤساء من السجن رغمًا على انف حاكمها بارقاش وجمعوا لي حوائج واعطوني بلغة وانتظرت ثلاثة ايّام الى ان لحق بعض المنهزمة من بني مطير رجعوا من فضالة فاخبروا بموته حقيقة وبلغ كتاب هشام لاهل الرباط يطلب النصرة ثمّ بلغ كتاب مسلمة من وادي الزان[1] يطلب بيعتهم فاختلفوا وتوجّهت مع البربر لمكناسة والبلاد خالية لا انيس بها فرّوا من الطريق لمّا سمعوا بموت اليزيد فبلغنا مكناسة بعد محن ونوايب في الطريق تقبّلها الله ولمّا وقفت على محمّد و عبد العزيز قام و عانقني وبكى واخبرته بحقيقة موت اليزيد ووجّه لنا عبد الملك بن ادريس فتوجّهت اليه واخبرته بموته وبيعة هشام وكان بلغهم موته وبيعة مسلمة الذي

[1] B وازان.

ورد كتابه من وادي الزان ووصلنا القايد سعيد وجماعة من العبيد فتصالحوا مع محمّد و عزير وتكلّموا في امر البيعة لمسلمة فخالفهم محمّد و عزيز وقال لا ابايع هشامًا ولا مسلمة ودار الكلام بينهم الى ان توافقوا على بيعة السلطان الرشيد سيّدنا ومولانا سليمان رحمه الله وقدموا جميعًا ودخلوا ضريح مولانا ادريس فبايعوه وكتب بيعته وركب لدار الملك بفاس الجديد في رجب العام

دولة السلطان سليمان بن محمّد بن عبد الله رحمه الله وقدّس روحه

ولمّا بلغ خبر موت اليزيد اجتمع اهل الحلّ والعقد من امراء العبيد واعيان البربر الذين هم عصبيّة المغرب وقدموا لفاس واجتمعوا مع علمائهم واشرافهم واعيانهم واعيان الوداية واتّفقوا على بيعة السلطان سليمان واختاروه على الاخوة الكبار لما عرفوه من دينه وورعه وعقله وبايعوه بضريح مولانا ادريس وكتب بيعته الشيخ التاودي بن سودة ونزل عليها كافّة العلماء على القانون الشرعيّ وكتب بها الى افاق المغرب فلتن سبحان الله هذا الاسم النبويّ ما تسمّى به احد في الدول الاسلاميّة كلّها ثمّ انّ اهل الثغور لمّا كان عندهم ابن السلطان مسلمة بضريح الشيخ سيّدي مولاي عبد السلام ظنّوا انّه صاحب الامر بايعوه بالثغور والجبال ولمّا بلغهم خبر بيعة السلطان سليمان بفاس بايعه العلماء والجند والبربر وتحقّقوا بفساد ما وقع منهم رجعوا عن بيعته فبقي ذبابة يدور في الجبال وبلاد الحياينة الى ان وجّه السلطان سليمان العساكر فهزموا جمعه ونهبوا حلّته ايت عمّور الذين كانوا شيعته وكذلك الحياينة نهب اموالهم وبدّد شملهم وفرّ للريف مع ولدَيْه وابن اخيه الحسن ورجع عنه وكان معه وتوجّه الى المشرق وامّا اهل الحوز فانّه لمّا مات اليزيد بايعوا هشامًا الذي بايعوه على اليزيد وحاربوه به ولمّا بلغهم خبر بيعة الجيش وعلماء فاس واهلها وجموع

البربر السلطان سليمان سقط في ايديهم وعلموا انّهم وقعوا في الخطا لكنّه لم يمكنهم الرجوع للبيعة ولكونهم انصار الدولة وهم اهل الحلّ والعقد بها فصمّموا على مرتكبهم واهمال امر السلطان سليمان ووجّه اخاه الطيّب للرباط مع بني حسن اذ كان مسلمة وجّه لهم القايد محمّد الزعيم في حصّة من الخيل واختلق عليه اهل الرباط وبايعوا سليمان ولمّا دخل الرباط حارب قايد مسلمة الى ان غلبه وقبضه وقتل العبّاس ومن شايعه ونهب دورهم واجتمعوا على بيعة السلطان سليمان وقبّض عليهم بارقاش ورجع واشتغل بترتيب دولته والنظر في امورها وامور رعاياها وسدّ ثغورها والولاية على اعمالها الى ان فرغ من عمله ودخل عام ١٢٠٧ فوجّه المحلّة مع اخيه الطيّب وجماعة من القوّاد لتامسنة اذ كان اهلها لا هناك ولا هنا واقام هو لاشتراق احوالهم بالرباط فوقع التنافس في الرياسة بين القوّاد وكان اعظمهم الغنيمي عامل البريد على الجبال وكان ردّ بق الطيّب الخليفة فاتق القيّاد من استبداده عليهم ولمّا تقاتلوا مع العدوّ جرّوا عليه الهزيمة ورجعوا منهزمين للرباط فما امكن السلطان الّا الرجوع لفاس لتجديد الحركة لتخليق ما ضاع من الابنية والالة فرجع لفاس واشتغل بتقوية امور الحركة الى ان بلغه قيام الثاير زيطان الحسيّ بجبل عمارة والهبط واجتمع عليه سماسرة الفتن من كلّ قبيلة وصار ينتقل بتلك القبايل الجبليّة من هذه لهذه وعلا صيته وكثر تابعوه فلم يسع السلطان اهماله وامر بخروج العساكر له مع عامل تلك القبايل الغنيميّ المشوم فتوجّه بها ووافا زيطانا بقبيلة عطاوة ولمّا عزم على الصعود للجبل قال له القوّاد الذين معه نترك محلّتنا بسفح الجبل وتطلع الخيل والرجال فابى وقال انوجّه بالجميع واتبعه اينما دخل فلمّا توغّلت المحلّة في الجبل خرج لهم الرجال من الشعاب وحاربوهم فاختلط العساكر بالاثقال وانهزموا في الاوعار ونهبوا وقتلوا ورجع المشوم مهزومًا ولمّا بلغ للسلطان غضب عليه ودفعه لاولاد

السويديّ[1] كان قتل اباه تحت العذاب فاثاره منه فقتلوه وولّى على تلك القبايل الجبليّة اخاه الطيّب وولّاه امر الثغور كلّها وانزله طنجة ولمّا كان عام ١٢٠٩ وجّه السلطان المحلّة لاخيه الطيّب بقصد زيطان ومن معه ولمّا بلغته خرج من طنجة ومعه عساكر الثغور فقصد بني جرفط عشّ الفساد الى ان نهب اموالهم وحرق قراهم وقتل كثيرًا منهم وفرّ زيطان الى بني مرشن من بني يدير فتبعه الطيّب بالعساكر الى ان نزل على بني مرشن وحاربهم واحرق قراهم وقطع اشجاره وفرّ زيطان الى قبيلة الاخماس فتوجّهت لهم العساكر الى ان خربوا مداشرهم وقتلوا ونهبوا واذعنوا للطاعة وخرج زيطان من بلادهم لغمارة ورجعت المحلّة وكتب لزيطان بالامان فقدم عليه ووجّهه للسلطان تايبًا ولمّا بلغه عفا عنه وولّاه على قبيلة الاخماس وصار من جملة خدّام الدولة الى ان ملكت زمامها وتعيّن غيره لها وانزله السلطان بتطاون ورتّب له بها واقطنه باقيًا بها وصلحت احوال تلك القبايل بولاية الطيّب وحسن ملكته وسياسته وامّا مصاير امر هشام فانّه اقام يتردّد بين العروصيّ وعبد الرحمان بن ناصر من مرّاكش لاسفي ويترامى على الضعفاء والمساكين اينما توجّه ويظلم الرعايا الى ان ملّه من بايعه وكان عبد الله الرحمانيّ هو صاحب امره فقتله غيلة فبغضه اخوانه الرحامنة وبايعوا الحسين واتوا به لمرّاكش فلم يشعر هشام الّا وصول الحسين تفرع ببابه فلم يسعه الركوب واعجله الخوف فقبض على يد جارية روميّة كان مشغوفًا بها وخرج من القصر يسعى على قدميه قابضًا على يد جاريته الى ان بلغ ضريح الشيخ ابي العبّاس فاستحرم به واحتوى الحسين على القصر بما فيه وبايعه اهل مرّاكش وخطبوا به وكتب اسمه على السكّة وهرب هشام الى مبايعه عبد الرحمن بن ناصر لاسفي فاقام عنده وفسدت احوال الحوز وقامت الفتنة والحرب بين قبايله الى ان بلغ عدد القتلى

[1] B سويد ; il serait préférable, je crois, de lire السويدي.

بينهم علي ما قالوا اربعة وعشرون الفًا والسلطان سليمان غافل عنهم ومتربّص بهم الى ان ملّوا الحرب هذا خبرهم وامّا الشاوية فانّهم لمّا وقع منهم ما وقع في المحلّة راوا اهمال السلطان لهم والاعراض عنهم لما كان فيه من مدافعة الثاير زيطان ولمّا فرغ من شانه جاءه الشاوية تايبين متنصّلين وطلبوه ان يوجّه معهم عامله علي قبايلهم فوجّه معهم ابن عمّه عبد الملك بن ادريس وامره بالنزول بالدار البيضاء ويسرّح مرساها للسوق ويباشر اشياخ الشاوية واعيانهم ويسهمهم من ذلك الخراج ويؤلّف بذلك قلوبهم فتوجّه بهم ونزل الدار البيضاء واجتمع عليه اعيان الشاوية ومدّوا ايديهم للخدمة والطاعة وسكن اشياخهم مع عبد الملك وصلحت احوال الرعية ولمّا حصل لاعيانهم ذلك الاسهام من مستفاد المرسي تطاولوا للزيادة وصار عبد الملك يقاسمهم ياكل النصف ويعطيهم النصف وعند راس السنة لم يوجّه للسلطان شياً من المستفاد كاهل المراسي فكتب له السلطان في ذلك فاجابه بما وقع له مع الاشياخ فكتب له يعاتبه في ذلك فغضب وساء ظنّه بالسلطان واخبر اعيان القوم انّ السلطان عاتبه علي ما يعطيهم واستشارهم في امره فاجابوه علي وفق مراده ولمّا دخل فصل الربيع تجهّز السلطان للحركة للشاوية وخرج من مكناسة ولمّا بلغ الرباط وبلغ خبره عبد الملك والشاوية احضرهم واستشارهم في امره وقال لهم انّ هذا الرجل قادم ولا غرض له الا فيكم وانا اليوم من جملتكم فانظروا لانفسكم فقالوا له نبايعك ونموت دونك فبايعوه واعلنوا بنصره ووجّهوا لاخوانهم وركّب عبد الملك المدافع التي كانت عنده للبحر لناحية البرّ ووجّه السلطان من الرباط اخاه الطيّب في عساكر الثغور وهو علي اثره ينزل في منازله ولمّا رفعت عيون عبد الملك اليه بمبيت الطيّب بالعساكر بالقنيطرة والسلطان بعساكره بالمنصورية وراى ما لا قبل له به هرب ليلًا هو ومن معه من اعيان الشاوية وضرب اهل الدار البيضاء المدافع عند

هروبه لاعلام السلطان بهروبه وكنت عند ضرب المدافع عند الطبيب وجّهني السلطان اليه في امر فقلت له هذه المدافع ضربوها علامة علي فراره فقال لا انّما ضربوها رعبًا لنا فقلت والله انّه هرب وضربها من قوانين البحر فركبت الي السلطان في الحين فما اصبح الّا وانا عنده فاوّل ما سالني علي ضرب المدافع فقلت انّ الرجل هرب فشكّ في ذلك وارتحل فلقيه خبر فراره من الطبيب كتب له بذلك ونزل الطبيب الي ان بلغه السلطان فوجّه جريدة من الخيل للدار البيضاء الي ان بلغوها واقاموا بها واخرجوا النصرانيّ الذي كان يوسف بها وجّهوه الي السلطان فوجّهه للرباط وارتحل لنواحي قصبة علي بن الحسن وسرّح العساكر للغارة علي مديونة وزنانة اهل ذلك الوطن فنهبوا حللهم واموالهم وقتلوا وسبوا واسروا وهرب باقيهم ولمّا امتلات ايدي العساكر بالغنائم رجع السلطان للرباط ومنها لمكناسة وفاس ولمّا بلغ خبر ذلك لاهل الحوز قدم علي السلطان جماعة من اعيان الرحامنة مؤدّين للطاعة وطلبوا منه المسير لبلدهم فواعدهم به اذا فرغ من امر الشاويّة ولمّا دخل عام ١٢١٠ خرج السلطان لحركة الشاويّة الذين عندهم عبد الملك وهم اولاد ابي عطيّة ولمّا قارب حلّتهم ونزل سوّلت لهم نفوسهم انتهاز الفرصة في المحلّة وهم غافلون فقصدوها ووقع الحرب باطرافها الي ان بلغ لمباني السلطان فامر الطبجيّة بضرب المدافع بالكور والدوبلي ولمّا قربوا من قبّته ضربت المدافع فشتّت جمعهم ومات معظمهم وبلغ عدد رؤوسهم ازيد من خمساية راس ونهبت حللهم وانهزموا لساحل امّ الربيع الي ان طلبوا الامان فامنهم السلطان وهرب عبد الملك لاخواله بالسوس واقام عندهم الي ان شفع فيه اخو السلطان عبد السلام واخته زوجة عبد الملك فسامحه وكتب له فرجع وولّي السلطان علي قبايل الشاويّة الغازي المواق منهم ورجع لمكناسة ثمّ لفاس وفي هذا العام وجّه العساكر لوجدة الوداية مع عبيد والشراقة واولاد

جامع مع ابن خدّة والعبيد مع احمد بالعريي ومكناسة والاحلاف مع الشيخ عبد الله بن الخضير[1] وامرهم ان ينزلوا علي وجدة اذ كانت مع قبايلها بايالة الترك واستولوا علي تلك الايالة ايّام الفترة وخليفة الباي محمّد بوجدة يتصرّف في قبايلها وقال لهم انزلوا وجدة والقبايل واقبضوا الزكاة والعشور وعيّن الوالي بوجدة وان دافع الباي عنها ومانع دونها حاربوه ولمّا خرجوا من فاس وبلغ خبر المحلّة للباي كتب لخليفته الذي بوجدة تخرج منها ويتخلّي عن قبايلها وكتب للسلطان بالعذر وانّه عمّرها بالعساكر لاجل تسريح السبل وقطع المفسدين ولمّا اشرف نوركم علي افقكم تركنا لكم ما هو لكم من قديم الزمان ولمّا بلغ وجدة حبّي العامل قبايلها ومهّد سبلها ورجعت المحلّة وفي عام ١٢١١ توجّه السلطان في العساكر بقصد دكّالة ولمّا بلغ وادي امّ الربيع دخل ازمّور ومنه لضيط فقدم عليه الهاشميّ العروصيّ مع اهل دكّالة ببيعتهم مؤدّين لطاعته وخرجوا من حزب عبدة وسلطانهم هشام ونكثوا ببيعته ثمّ قدم عليه الرحامنة واهل السوس وزرارة والشبانات مؤدّين لطاعته مبايعين له نابذين[2] بيعة الحسين الذي عندهم بمرّاكش وتوجّهوا بالسلطان سليمان لحضرة مرّاكش في يوم مشهود ولم يبق بالمدينة احد وضربت المدافع وعملت الفرجات واستقرّ بدار الملك ووجّه كاتبه محمّد بن عثمان لعبد الرحمان بن ناصر ياتي به او ياذن بحربه فلمّا وصله اعتذر بالمرض واحضر القاضي والفقهاء وخلع سلطانه وكتب بيعته للسلطان سليمان وادّي طاعته وتوجّه هشام لزاوية الشرّادي[3] فاستجار بها فبعث له السلطان من امّنه واتي به فاكرمه وقدّم له الراتب والكسوة وانزله بدار اخيه المامون الي ان استراح وامن علي نفسه ووجّهه للرباط

[1] B الخضر.
[2] B نافدين.
[3] A الشدادي.

فسكن به ورتّب له ما يكفيه وافام السلطان بمرّاكش فقدم عليه قبايل البربر ورفنية[1] وقبايل منوقة وقبايل زناقة وقبايل حاحة وقبايل السوس بهداياهم فاكرمهم واجازهم وعيّن لهم ولاتهم وكمل له فتح المغرب وقدم ابن عثمان بطاعة عبد الرحمان وبيعته واعتذر عنه بالمرض فقبل السلطان عذره واستقامت الامور وترك اخاه الطيّب خليفة بمرّاكش ورجع الى الغرب وفي عام ١٢١٢ خرج السلطان من فاس في العساكر بقصد عبد الرحمان بن ناصر بقصد حربه الى ان يؤدّي الطاعة مباشرة طوعًا او كرهًا ولمّا بلغ وادي امّ الربيع قدم له عسكر الوداية مع القايد عبّاد وامره ان يزعج عبد الرحمان بن ناصر لملاقاته فان جاء فاقم مقامه انت وان امتنع فاكتب لنا بالوصول اليه فلمّا بلغه عبّاد لم يسعه الّا التوجّه لملاقاة السلطان بمرضه وركب في محفّته وتوجّه مع اخوانه عبدة واحمر فوافا السلطان بماية بير وبير بطريق بلادهم فاجتمع به وبايعه مباشرة وادّى اخوانه طاعتهم ولمّا راه السلطان تحقّق انّ تاخيره لاجل المرض فوفى له السلطان بعهده وزاد في كرامته بالوصول معه لاسفي ودخوله لداره الى ان امن على نفسه وجدّد له السلطان على قبايله وقلّده امر المرسى وامره ان يقبض الواجب الشرعيّ من قبايله وتوجّه لمرّاكش فدخلها وافام بها مدّة وفي هذا العام دخل الوباء للمغرب وعمّ حواضره وبواديه وبه كفى الله السلطان امر اخوته ولمّا كثر الوباء بمرّاكش توجّه السلطان للغرب وترك اخاه الطيّب خليفة بها ودخل مكناسة في صفر من عام ١٢١٣ فبلغه اثناء مقامه بها موت اخيه الطيّب الخليفة وموت الحسين الذي كان بمولاي ابراهيم وجّه له الطيّب وامّنه وقدم لمرّاكش فمات بها وهشام الذي كان في الرباط طلب من السلطان ان يسكن مرّاكش فوجّهه لها فمات بها وبلغه خبر الجميع جملة واحدة وكنت وقتئذ بداري بفاس فوجّه لي السلطان

[1] Ou رفية.

فقدمت عليه لمكناسة فوجّهني لمرّاكش لآتيه بمتخلّف اخوانه ومتخلّف الكاتب فتوجّهت لذلك حتّى جلته على بغاله التي وجّهها معي وقدمت فقلّدني كتابته وفي عام ١٢١٤ وجّه عامله للسوس لجمع مال المنقطعين الذين توفّوا ولمّا جمعه قلّده امر السوس فاتى باموالـه ورجع وفي عام ١٢١٥ كانت حركته لآيت مالوا وجّه السلطان العساكر مع الكاتب الحكماويّ وجماعة من القوّاد وعمّال القبايل كلّ واحد منهم اعظم منه فلم يرضوا به واستنكفوا من امارته عليهم ولمّا بلغوا ادخيسان جاءهم البربر وطلبوا الامان وبعثوا المراهين الى ان يدفعوا ما يطلبه منهم من المال فلم يقبل فكلّمه القوّاد الذين معه في ذلك وهم اعرف منه بسياسة البربر فامتنع وقال لهم لا حاجة لي بمالهم ولا بدّ لي من حربهم وقطع رقابهم فتركوه ورايه وارتحل الى الجبل وقطع الثنايا بالمدافع والمهارز فناوشوه الحرب وهم يجرّونه الى ان توغّل في الجبل واحاطوا به ولمّا وقع القتال انهزم القوّاد عنه وتركوه وحده فقتلوا وسلبوا وقبضوا على الحكماويّ فاجاره بعضهم وابقوا عليه الى ان وجّهوه للسلطان مع بعض الاشراف وفي عام ١٢١٦ فتح السلطان درعة والفايجة وسجلماسة ودخلها عساكره واتى عامله باموالها واخرج العرب والبربر من قصور القصب وردّها لاربابها وصار ما بين السوس ودرعة والفايجة وسجلماسة ووادي الساورة مجالاً للتجّار وابن السبيل يمرّون من قصر الى قصر ومن اقليم الى اقليم وفي عام ١٢١٧ وجّه السلطان المحلّة للريف مع اخيه قدّور والعامل ابن حدّة وقايد العسكر احمد بن العربيّ فاتى العامل بواجب ثلاثة اعوام سلفت من كبدانة وقلعية واهل قارت واهل الريف ولمّا رجعت المحلّة اغاروا على قبيلتيْ المطالسة وبني ابي يحيى في طريقهم فنهبوها وسبوا اولادها ورجالها وتوجّه بهم للسلطان حتّى رفّع عليه وفي عام ١٢١٨ عاث ايت ادراسن في طريق الصحراء بملوية وهرب قايدهم محمّد بن عزيز من فاس خوفًا من السلطان فتوجّه لهم السلطان

بالعساكر لاعليل ووقع الحرب فانهزموا ونهبت حللهم ومواشيهم وهدم السلطان قصورهم وفرّوا برؤوسهم لبني مقيلد الى ان عفا عنهم السلطان ورجعوا لخدمته ولمّا رجع السلطان من اعليل لم يقم بفاس وتوجّه بتلك العساكر لتازة فوجّه محلّته لوجدة مع الشيخ عبد الله بن الخضر لقبض واجب قبايلها ووجّه محلّة اخرى مع دحمان السويدي عامل الصحراء فنزلت ملوية لقبض واجب قبايلها ومنها لقبر ثمّ لتجلماسة ومنها فرّقها العامل مع طلايعه لذرعة والقايجة وتدغ[1] وفركلة وغريس وزنر[2] والخنق ومدغرة والريب ووادي الساورة حتّى مهّد تلك الاقاليم كلّها وسرّح سبلها وقبض خراجها ورجعت المحلّة وابقى طلايعه باماكنها وفي عام ١٢١٩ توجّه السلطان في العساكر لمرّاكش ولمّا بلغها وجّه المحلّة للسوس والاخرى لحاحة وتوجّه في حاشيته وجيش المتخيّرين للسويرة فوقف على اثار والده بها وعرض عساكرها واعطاهم الراتب والكسوة وامر باصلاح ما تحتاج للاصلاح ورتّب حاميتها وولّى على قبايلها ورجع للغرب وفي عام ١٢٢٠ وقعت فتنة بين الترك والعرب اهل الواسطة بسبب بعض فقراء درقاوة فتلهم الباي ووجّه في طلب شيخهم عبد القادر بن الشيخ خليفة الشيخ الاكبر سيّدنا ومولانا العربيّ الدرقاوي رحمه الله بالمغرب ففرّ سيّدي عبد القادر بن الشريف عن وطنه ونزل بوطن الاحرار واجتمع عليه فقراء درقاوة وامتعضوا[3] لمن قتل منهم ونفى شيخهم ابن الشريف عن زاويته ووطنه وتداعر لذلك عشايرهم وقاموا على الترك وتحزّبوا لحربهم ولمّا قدمت محلّة الترك من الجزاير على عادتها ولقيها الباي على عادته قصدها العرب واحلافهم ووقع القتال فانهزم الاتراك وقتلوا منهم ونهبوا محلّتهم ودخلوا

[1] B تدغي.
[2] B زند.
[3] B اتعضوا.

لوهران معلولين فقصدهم العرب وحصروهم بوهران فكتب الباي للسلطان ينتصر به في رفع هذا الخوف وينتظر الفرج من جهته اذ شيخ الطايفة الدرقاوية ببلاده فوجه السلطان للشيخ مولاي العربي الدرقاوي ان يتوجه لوهران حتى يفرق ذلك الجمع ويرفع ذلك الخوف ووجه معه الحاج الطاهر باتّوا[1] ولما بلغ سيدي مولاي العربي ورأى كثرة جموعهم ووجد الطايفة الدرقاوية على حال من غير الذي كانوا عليه اذ ظفروا بالملك واتصلوا به وانقلبت نورانيتهم ظلمانية فحينئذ امر تلميذه ابن الشريف ببطلان ما امره به من القيام على الترك لانه ماذون من شيخه وارتحل ابن الشريف لتلمسان وحصر الترك والقرغلية بالمشور ونواحيه واستمر الحرب بينهم ولما كان يوم الجمعة اجتمع اهل تلمسان بالمسجد الاعظم وكتبوا ببيعتهم للسلطان ووجهوا هديتهم ووفود العرب بهديتهم وتوجه وفد تلمسان بهديتهم مع مولاي العربي الدرقاوي ولما بلغ فاسا اجتمع بالسلطان وقال له ان العالم العلوي مقبل عليك وان العرب كلها واهل المدن والقرى بايعوك ووجهوا بيعتهم وهديتهم وابن الشريف خديمك وخليفتك وهذه بيعته وهديته ولما خرج السلطان وجد اهل تلمسان ووفود العرب واقفين بهداياهم فدفعوا بيعتهم وهديتهم ودخل ووجه السلطان الى الحاج الطاهر باتّوا فسأله فاخبره بالواقع وما فعل مولاي العربي الدرقاوي وما لبس به عليه وما يعتقده الترك ان هذا القيام كله من عنده وعلى يده فامر بضرب الدرقاوي واهل تلمسان ببيعتهم ووجه الى وفود العرب فقدموا لبابه فخرج لهم وقال لهم انكم عصيتم الله ورسوله فيما فعلتم واخطأتم فيما ارتكبتم فلا اشارككم في معصية الله وهذه البيعة مردودة عليكم لا اقبلها وعلى قدر وصولكم لبابي اكاتب الباي يسامحكم ولا يعاقبكم على فعلكم واعطاهم مالا للزاد وصرفهم ووجه القايد عباد لتلمسان وامره ان

[1] B باد.

بحنان علي ابن الشريف حتّى يتمكّن منه وفي الظاهر وجّهه لاصلاح الشرط مع الفرغليّة واهل تلمسان ويقيم بتلمسان الى ان يقدم الباي ويمكّنه من بلاده ولمّا بلغ فرّ ابن الشريف من تلمسان خوفًا على نفسه فكان يكاتبه عيّاد في الاجتماع معه وانّه ما جاء الّا لنصرته فلم يسكن لذلك واقام عيّاد الى ان قدم الباي وصالحه مع اهل تلمسان ووجّه له السلطان كتابًا وهدية عرّفه بصفاء الطويّة وتأكيد الودّ بما ازال به شكّه ورجع عيّاد ثمّ انّ الباي لم يبلغ غرضه للقحط الذي نزل ببلاده حتّى عدمت الاقوات وفرّ اهل تلمسان عنها ودخلت حلل الواسطة كلّها للغرب واقفرت البلاد ولم يبق له على من يتصرّف فصار يكاتب السلطان هو ودولته الجزاير في ردّ اهل تلمسان والعرب لبلادهم فاحضرهم السلطان وبعث لهم في الرجوع فامتنعوا وقالوا لا تجتمع علينا الجوع واحكام الترك فقبل عذرهم وتركهم وكان يواسيهم بالعطاء كلّ شهر حتّى صارت صلته لهم كالراتب الى ان اخصبت بلادهم ورجعوا وكتب السلطان للباي في الرفق بهم والعدل فيهم ففعل بكلامه واستقامت احواله واحوال الامّة وفي عام ١٢٢١ فتح السلطان فجيج[1] وجّه له عامله ووجّه معه عرب ذوي منبع فغلبوا على فجيج واتى بما عليهم من الواجب واستولى على قصر المخزن الذي به وردّه لاربابه من العبيد الذين كانوا به من ايّام السلطان اسماعيل وفي عام ١٢٢٢ وجّه العساكر الى بني موسى من تادلة ففرّوا الى جبل ايت عتاب فقدمت لهم العساكر الى ان نهبوهم واحرقوا قرى رفالة وبني عياط وايت عتاب الذين أووهم وقبضوا واجب زكاتهم واعشارهم ورجعت المحلّة وفي عام ١٢٢٣ فتح السلطان اقليم فرارة واتوات واتى العمّال بخراجها ورجع وفي فصل الشتاء من هذه السنة وجّه السلطان العساكر فنزلوا على ظهر ايت مالوا ومنعوهم من الرحلة الى بلاد الغرب للمرعى وجلب الميرة واجروهم بجبلهم ولمّا

[1] B بفيق.

ضاقت مواشيهم اخذوا بدفع الواجب فدفعوا الماشية والانعام فخلّى سبيلهم وفي عام ١٢٢٤ حرّك السلطان لتادلة فنزلت العساكر على وريغة وحاربوهم ونهبوا اموالهم الى ان استكانوا وزادت العساكر لبلاد ايت يسري بعد ان قبض السلطان منهم عددًا كثيرًا ولمّا قدموا عليه عفا عنهم على مال فدفعوه وسرّح لهم اخوانهم ورجع لمكناسة وفي عام ١٢٢٥ خرج السلطان لحركة الريف في جميع العساكر ونزل عين زورة ووجّه العساكر لهم فحاربوهم ونهبوا اموالهم واحرقوا قراهم وطلبوا الامان فأمّنهم على دفع ما عليهم من الزكاة والعشور وعيّن لهم من يقبض منهم ولمّا دفعوه رجعت عنهم العساكر وفي عام ١٢٢٦ قامت الفتنة بين قبائل البربر على يد محمّد و عزيز نزل على زرع ايت مالوا واكلته حلّتهم فتقدّموا لحربه ولمّا وقع الحرب عند قروان ونافسوا ايت مالوا اذ كان السلطان ولّى محمّد و عزيز على قروان رغمًا على انوفهم فنهبوا ايت ادراسن ولم يفلت منهم الّا اهل الخيل وتوجّهوا للسلطان شاكين فنافسهم السلطان ووجّه العساكر لحرب قروان فنافسهم ايت مالوا وهزموا عساكر ايت ادراسن ثمّ اجتمعت كلمة البربر على الخروج على السلطان بسبب محمّد و عزيز الذي يبغضونه ويولّيه عليهم ثمّ نفر ايت يوسي من دخان السويديّ الذي ولّاه عليهم وشكوه مرارًا فلم يعزله عنهم فازدادوا على قروان وايت مالوا وايت سغروشن ومرموشة[1] وبعثوا لدجّالهم مهاوش فقدم عليهم ووجّه السلطان العساكر للسويديّ المشوم فنزلت بصفرو وقصدهم البربر فهزموهم وانفضوا والسويديّ تحصّن بالمدينة ولمّا وقع ذلك مدّوا ايديهم للطرقات فنهبوا كلّ من في طريق الصحراء غاديًا وجائيًا ونهبوا القرى المجاورة لصفرو كلّها واتّسع الخرق وهذا كلّه بسبب محمّد و عزيز والسويديّ واقام السلطان يعالج امرهم بما نفع فيه ترياق فتركهم فوضى لنظر عاجز العمّال عبّاد وتوجّه لمرّاكش ليأتي

[1] B دموشة.

باهل الحوز حيث راى ما يفعله الغرب لما ولوا من الفرار في كل زحف ولما بلغ مراكش جمع الجموع واتى بها وتوجه بها ولم يصحب معه عساكر اهل الغرب ولما اجتمعت له العساكر خرج من مكناسة وتوجه لفروان بنواحي ازرو ولما بلغه تحيّر في امره وكانوا قريبا منه لكنه ليس معه مرشد ولا معين ولا ناصح فضطر له ان يرجع لاعليل لايت يوسي ولبني مقيلد فرجع له ولما راه عيون فروان رجع عن قصده حسبوه خاف فرجعوا في اثره وتبعوا العساكر من ورايها واما اولها فقد بلغ اعليل ونزل السلطان فوقعوا باخر العساكر وحاربوهم فهزموهم وقتلوا باشا العبيد ابن الشاهد ولا علم للسلطان بما وقع الى ان بلغه المنهزمة ليلا وسمع ذلك فتجلد بالصبر ولما اصبح ركبت البرابر من بني ادراسن وزمور وايت عمور شيعة السلطان وقصدوا بني مقيلد كانوا قريبا منهم ووقع الحرب فهزموهم والجئوهم الى شعب الجبل وتركوا الخيل وفروا بانفسهم ونفسوا عن السلطان كربته واتوا بالخيل والسلاح للسلطان ثم ان العرب قتلوا من وجدوه بالمحلة من البربر من شيعة الدولة وقالوا ان البربر كلّه واحد فرفع البربر امرهم الى السلطان فكلّف بامرهم كاتبه محمد السلاوي ولما راى وسمع خاف عاقبة الامر واشار على السلطان بالرجوع لفاس فكان رجوعه اكبر غنيمة وشفت بذلك انوف البربر وجاءوا على اثره ينهبون من لحقوه واستمر الحال على ذلك والسلطان يرجع ويعالج داءهم فلم ينفعه فيه ترياق الى ان تمكن من فروان ونهبهم وبدد شملهم ثم عفى عليهم واعطاهم الخيل والسلاح وجعلهم في عسكره ثم صالحهم مع ايت ادراسن ووجههم لايت يوسي فدخلوا بلدهم ونهبوها وقتلوا منهم ما لا يحصى وتركوهم عرايا وهذه المسالة من فصول السياسة فان كثرة العساكر لا تثمر الا الهزايم والنصر مع قلتها كما قاله الحكماء وفي هذه السنة وجّه السلطان ولده الارشد الاستاذ الامجد مولانا ابراهيم لاداء فريضة الحج وزيارة قبر جده وفي عام ١٢٢٧ وجه السلطان العساكر لقلعية

والريف مع كاتبه محمد السلاوي ولما بلغ قلعية سرح العساكر لبلدهم فنهبوا واحرقوا وقتلوا وعاثوا واقام عليهم يقبض الاموال الى ان دفعوا ما عليهم ثم بعث عماله للريف فقبضوا زكاته وعشره ورجعوا في رمضان العام وقدم ابن السلطان مولاي ابراهيم من الحج ونزل طنجة ركب من مالطة في قرصان من قراصين الانجليز وجهه له والده مع مراكبه للاسكندرية فوجده بمرسى مالطة فحمله في خاصته وركب الحجاج في مراكب السلطان فسبقهم الانجليز لمرسى طنجة وانزله بها ومنها توجه لحضرة والده ولما اجتمع به وجهه لداره بفاس فخرج لملاقاته اهل فاس والوداية وكافة اهل الحوز وكان يوم دخوله من ايام الزينة وفي عام ١٢٢٨ بلغ السلطان ان اهل الريف يبيعون الماشية والزرع للكفار حيث قطع عنهم السلطان الوسق من مراسيه فتوجهوا للريف وكان واليه محمد السلاوي معرضا عنهم لا يلتفت اليهم وبعد ان يقبض اعيانهم ومن يفعل ذلك ويوجهونه له يسرحه على طمع فاتسع الخرق وصاروا كلهم يبيعون للكفار فلما تحقق السلطان امره امر رؤساء المراكب كلهم يتوجهون لمراسي الريف وكل من لقوه بتلك النواحي من مراكب الكفار ياخذونه فتوجهوا لذلك وقبضوا واسروا فلم يغنه ذلك وامر بالحركة للريف وجهز العساكر مع محمد السلاوي ووجه معه ولده ابراهيم بعساكر الثغور واهل الغرب وغيرهم وتوجهوا على طريق الجبل وخرج السلطان من فاس مع السواد الاعظم على طريق الجادة على تازة ثم على قارت فما احس اهل الريف الا بالعساكر محيطة بهم من كل وجه فنهبوهم واحرقوا مداشرهم واستخرجوا دفاينهم وولى عليهم السلطان احمد بن علي بن الصادق الريفي وتركه ببلادهم في جملة من العساكر يستخلص منهم الاموال ورجعت العساكر مع السلطان لدار ملكه ولا زال نصره الله في ترقيع ما خرقه العمال فرحم الله المامون الذي قال ما من خرق وقع في دولة الا وسببه العمال واذا نظرت بعين الانصاف ونطقت بلسان الحق فهذا

السلطان هو عمر بن عبد العزيز في وقتنا ولم يتقدّم في دولة بني اسماعيل بعد ابيه رحمه الله احسن منه فضلاً وعقلاً وعلماً وحلماً وعدلاً وكرماً ومروءة وديناً وصبراً وتجمّلاً وحسن خلق ولين الجانب وتواضعاً وهو الواسطة والخاتمة غير انّه يستبدّ برايه ويعهد على من لا خبرة له بالحروب والوقايع فطرفه الخلل من اجل ذلك وقد عوّده الله النصر على الاعداء وامدّه بالرعب في حركته وسكناته شاهدت ذلك في جميع وقايعه التي له على العرب والعجم بعد موت والده رحمه الله وموت اخيه اليزيد فقد وقع الاضطراب في المغرب وتلوّن الخطب به ما اغنى فيه الخبر عن الخبر حتّى اقال الله العثار وجبر الصدع بولايته وحسن سياسته وعمن تقيته رحمه الله ولم يبق الّا مسالة واحدة يساله الله عنها اذ هي من الواجبات ومن اعظم القربات فان الامّة يسالونه عنها ويطالبونه بها فانّ بعد اليوم غداً وهي النظر للمسلمين فيمن يقوم بامرهم بعده وتعيين من يعهد له عهده بعده اذ لا تخفى عليه احوال المغرب وهوله وما ينشو منه مع وجوده من موءة اهله فانّ ولده الاسعد العلّامة الارشد المتادّب بادبه الملازم لافتناء العلوم بابوابه ابراهيم ظهر فضله ونبله وعفده وحلّه بيباشر امور المسلمين في غيبته ويتوسّط بينه وبين الناس بحضرته ليعرفه عامّة الناس ويزيل عنه بذلك الالتباس ويعرف منصبه القريب والبعيد والسعيد والرشيد وعليه يكون لهذه الامّة المعول ومن الله التوفيق في الاخر والاوّل ولا حول ولا قوّة الّا بالله العليّ العظيم

وقد نقلنا هنا من كتاب نزهة الحادي في القرن الحادي ما سيأتي نصّه من ذكر الخبر عن الدولة السجلماسيّة الشريفة الحسنيّة

لا بدّ اوّلاً من ذكر نسبهم الشريف وان كان اجلى من الشمس واجلى من الظلّ الوريف واغنى عن التعريف فنقول الملوك الثلاثة الاوّل منهم وهم مولانا محمّد ومولانا الرشيد ومولانا اسماعيل ابناء مولانا الشريف بن مولانا عليّ ابن مولانا محمّد بن مولانا عليّ بن مولانا يوسف بن مولانا عليّ الملقّب بالشريف بن مولانا الحسن بن مولانا محمّد بن مولانا الحسن بن مولانا قاسم ابن مولانا محمّد بن مولانا بالقاسم بن سيّدي محمّد بن مولانا الحسن بن مولانا عبد الله بن مولانا محمّد ابي عرفة بن مولانا الحسن بن مولانا ابي بكر بن مولانا عليّ بن مولانا الحسن بن مولانا احمد بن مولانا اسماعيل بن مولانا قاسم بن مولانا محمّد المدعوّ النفس الزكيّة بن مولانا عبد الله الكامل بن مولانا الحسن المثنّى بن مولانا الحسن السبط بن عليّ بن ابي طالب وفاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم هكذا ذكر هذا النسب الذي هو حقيق ان يسمّى سلسلة الذهب جماعة من العلماء والاكابر كالشيخ ابي العبّاس احمد بن ابي القاسم الصومعيّ والشيخ الامام ابي عبد الله محمّد العربيّ بن يوسف الفاسيّ ورايته في كتاب الدرّ السنيّ فيمن بفاس من النسب الحسنيّ لشيخ شيوخنا ابي محمّد عبد السلام القادريّ وغيرهم ممّن لا تحصى كثرة وقد وقفت على كتاب الشيخ النسّابة الشريف ابي عبد الله الازورقانيّ فوجدته ذكرهم فقال ومن نسب السيّد محمّد النفس الزكيّة ينبوع النخل السيّد محمّد والسيّد الحسن ابنا عبد الله بن محمّد ابي عرفة وكان اصل سلفه بالينبوع هو واجداده لانّ جدّهم مولانا عليّ بن ابي

طالب كرّم الله وجهه كان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم اقطعه اياه فلذلك بقيت فيه سلالتهم رضي الله عنهم واوّل من دخل بلاد المغرب من اجداده الحسن بن قاسم فرأيت بخطّ بعض الفضلاء من اهل بلدنا حرّسها الله ما صورته اخبرني شيخنا العلّامة ابو عبد الله محمّد بن سعيد المرغيثيّ قال اخبرني سيّدي ومولاي وسط عقد محياي ابو محمّد مولانا عبد الله بن عليّ بن طاهر الحسنيّ انّ جدّهم الداخل للمغرب من ينبوع النخل هو الحسن بن قاسم قال وكان دخوله للمغرب اواخر الماية السابعة وكان حينئذ من ابناء الستّين ونحو ذلك وتوفّى رحمه الله قبل انقضاء الماية المذكورة وذكر بعضهم انّ دخوله سنة اربع وستّين وستّماية